سلسلة دراسات الفكر المهدوي 4

مَعَالِمُ القِيَامِ المَهْدَوِيّ

طَلَائِعُ الظُّهُورِ وَوَظَائِفُ المُنْتَظِرين

الشيخ علي كريّم

مركز براثا للدراسات والبحوث
Baratha Center for Studies and Research

معالم القيام المَهدويّ
طلائع الظُّهور ووظائف المُنتظرين
-الشَّيخ علي كَريّم-

سلسلة دراسات الفكر المهدوي 4

معالم القيام المَهدويّ
طلائع الظُّهور ووظائف المُنتظِرين

الشَّيخ علي كريّم

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

◆ رقم الطبعة:
الأولى
◆ تاريخ الطبعة:
2024 م- 1446هـ
◆ مكان الطبعة:
بيروت - بغداد

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

الفهرس

مقدّمة 7

الفصل الأوّل 10

إرهاصات الدَّولة المَهدويّة

المبحث الأوّل 11

الإرهاصات المُستلزِمة للتَّغيير في الدَّولة المهدويّة

المبحث الثاني 20

كيفيّة تحقيق الإرهاصات الإيجابيّة لدولة الإمام (عج)

المبحث الثالث 29

عوامل تَعجيل الفَرج

الفصل الثاني 39

العوامل التفعيليّة للفرج على مختلف المستويات

المبحث الأوّل 40

عوامل التَّفعيل للفَرج على المُستوى الفرديّ

المبحث الثاني 47

العوامل التَّفعيليّة على المستوى الجماعي

الفصل الثالث 67
الحكومة المَهدويّة: مبادئ النَّموذج وسياقاته

المبحث الأوّل 68
ضرورات الدَّولة المَهدويّة وسياقاتها التَّاريخيّة

المبحث الثاني 74
المبادئ التأسيسيّة، الدولة المهدويّة كنموذجٍ أرقى للحياة الطيّبة

الفصل الرابع 83
المَعالِمُ المُشكِّلة والمُمثِّلة للحكومة المَهدويّة

المبحث الأوّل 84
مصيرُ غير المُسلمينَ في الدَّولة المَهدوية

المبحث الثاني 90
معالم الدَّولة المهدويّة

الخاتمة 107

المصادر والمراجع 110

مقدِّمة:

إنَّ قضيّـة المُصلِح العالميِّ أو المُخلِّص الأمميِّ هي قضيّةٌ إنسـانيّةٌ قبل أن تكون دينيّة، هي عنوانٌ عامٌّ لطُموحٍ مشروعٍ يتَّسم بالرُّقيِّ والسُّموِّ، تتَّجه إليه اليشريّةُ بمختلف أديانها ومذاهبها وانتماءاتها.

هي ظهورٌ وتَجَلٍّ لفطرةٍ مُلهَمة أدركت أنَّ هذه البشريّة المُتعَبة والمُرهَقة، التي عانَت على مرِّ التاريخ تقلُّبات ومدًّا وجَزرًا، يحقُّ لها أن تستريح بعد كلِّ هـذا الأنـين والعَناء، وتنبّـأتْ أيضًا بأنَّ يومًا موعودًا سـوف يأتي لكي تتحقَّق فيه رسالاتُ السَّماء بمعانيها ومغازيها ومآلاتها.

إنَّ هـذا الإيمـانَ بوجـود المخلِّـص يَظهر بشـكلٍ واضـحٍ في الأديان الإبراهيميّـة، فنجد (المَهديَّ) في الإسـلام، و(المسـيح) في المسـيحيّة، و(المشـيحا) في اليهوديّـة، باعتبـار أنَّ الدِّينَ يَدعم هذا الشُّـعورَ النَّفسيَّ العامَّ، ويَرفـده بالرَّوافد الفكريّة والمعنويّة، بل يُعطي الفكرة زخمًا جديدًا، ويجعل منها مصدرًا للعطاء والقوّة[1].

ومع وضوح الفكرة في الدّيانات السَّماويّة السّابقة فإنَّنا نجدها أيضًا حتّى في أكثر الأيديولوجيّـات ماديّةً، فهذه الماديّة التاريخيّـة أو الجدليّة، التي فسَّرَت التَّاريخَ والمُسـتقبلَ على أسـاس مبدأ التَّناقُض، تَعتقد بأنَّه سـوف يأتي اليومُ الموعود الذي يَزول فيه كلُّ تناقض ويحلُّ الوئامُ والسَّلام، ونحوُ ذلـك ما يُعلِّقونَه من آمالٍ عـلى اللِّيبرالية الغربية على أنَّهـا النِّظام الأكمَلُ

1 - راجع: محمد باقر الصدر: بحث حول المهدي، ص.ص. 7-12.

الذي يَنبغي أن تبلُغَه كلُّ البشريّة على حدِّ مقالة فوكوياما في كتابه[1].

لا يمُكـنُ لهذا المُصلِح أو المُخلِّـص أو المُنقِذ العالميِّ، على اختلاف التَّعبير عنه، أن يُحقِّق مشروعَه المَنشـودَ من دون دولة تكون لها خصائصُ ومميِّزات، وتتَّصف بمعالم محدَّدة وتمُهِّد لها إرهاصاتٌ.

مـن هنا تـبرزُ أهميّـةُ بحث هذه المسـألة، فهي ليسـت مُجـرَّدَ فضولٍ علمـيٍّ، ولا نزعةً فطريّةً لاكتشـاف المجهول، وإنَّما هـي ذاتُ مدلولاتٍ تَرتبط بالمسـارات العقائدية والسِّياسـية التي تَختارها كلُّ أيديولوجية من الإيديولوجيّات المختلفة؛ بحيث تُحاول أن تَرسـم صورةَ ذلك المستقبل، ومعالمَ تلك الدَّولة العالمية، بما يتناسب مع مُبتنياتها المعرفيّة.

فأمَّا النَّظرةُ الإسـلاميّة للمُخلِّص فهي مُسـتمَدّةٌ مـن الوحي، وتتحدَّث عن المسـتقبل البعيد للبشرية، ومن هنا فـإنَّ المعلومات التي تُقدِّمُها هي معلوماتٌ مستندة إلى معطيات يَقينية لا تَقبل الخطأ؛ فهذه المسألةُ لا يُمكِنُ اكتشافُها بأدواتنا المَعرفيّة التَّحليلية أو العقلية، ولذا فإنَّ مصدرَنا الوحيدَ هو اعتماد التُّراث الدِّينيِّ الصَّادر عن أهل بيت الوَحي والنُّبوة عليهم السـلام، وبمقدار ما يكون هذا التُّراث الدِّينيُّ دقيقًا فإن معلوماتنا ستكون دقيقةً، إلّا أنَّ هـذا لا يُلغي إمكانيّة إثبات الدَّولة المَهدويّة وما تتضمَّنُه من خصائص وَفقًا للرُّؤية الشَّـاملة للتاريخ البشري وحركة المسيرة الإنسانية في مَبدئِها، وغايتها، ومراحلها الكبرى، في قوانينها وسُننها، ومنتهاها، وما بعد نهايتها، أي وَفقًا لفلسفة التاريخ.

1 - راجع: فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير.

لقد تصـدَّى بعـضُ الباحثين والمحاضريـن للكتابة حـول معالم دولة الإمـام، أو الإرهاصات السـلبيّة للدَّولة المهدويّـة، أو إرهاصات الظُّهور السياسـيّة والعسـكريّة والكونيّـة، إلّا أن هـذه الدراسـة تتميَّـز بمحاولة الجمع بين الإرهاصات السـلبيّة، بحيث يَحرص الفـردُ منّا على ألّا يكون جـزءًا منها، والإرهاصات الإيجابيّة المُرتبطـة بالانتظار الإيجابي وتعجيل الفرج، بحيث تُركِّز على الإرهاصـات ذات البُعد الاجتماعي والتَّحصيني والاستنهاضي، على المسـتوى الفردي والمستوى الاجتماعي، فضلاً عن محاولـة ربط القضيّة المهدويّة بمختلف تجلِّياتها من الانتظار إلى الظُّهور إلى الدولة، بموضوع السُّـنن والقوانين الحضاريّة القرآنيّة والتاريخيّة، عبر التَّركيز على بُعدها الحضاري، وكونها النَّموذجَ الأرقى لما يَطمح إليه الفردُ والجتمع من العيش في نموذج الحياة الطيِّبة، مع ربط كلِّ ذلك بالتَّطبيقات الواقعيّـة الحديثة والمعاصرة؛ أي محاولة الانطلاق من التَّطبيق في نسـج بنـود النظريّة، وصـولاً إلى الإضاءة على أهمِّ المبـادئ والمنطلقات لهذه الدَّولة وهذا المشروع، واستعراض معالمِه المُشكِّلة والمُمثِّلة له.

الفصل الأوّل:
إرهاصات الدَّولة المَهدويّة

المبحث الأول: الإرهاصات المُستلزِمة للتَّغيير في الدَّولة المهدويّة

ورد عــن داود بن الحصين، عن أبي بصير، عن الصادق جعفر بن محمد عــن آبائه (عليهم الســلام) قال:" قال رســولُ الله (صلى اللــه عليه وآله): المَهديُّ من وَلدي، اســمُهُ اســمي، وكُنيتُه كُنيتي، أشــبَهُ النَّـاسِ بي خَلْقًا وخُلُقًــا، تكونُ له غَيبةٌ وحــيرةٌ حتى تَضِلَّ الخلقُ عــن أديانهم، فعندَ ذلكَ يُقبِلُ كالشِّهاب الثاقبِ، فيَملؤُها قسطًا وعَدلاً كما مُلِئَت ظُلمًا وجَورًا"[1].

هذه الرِّواية المَشــهورة والتأسيســيّة في القضيّة المَهدويّة تُشــير إلى عدّة نـكاتٍ، فهي تُحدِّد اســمَ الإمام وكنيتَــه وخَلْقَه وخُلُقَــه، وتربطها بالمبدأ الإسلامي الأصيل، وهو النبيُّ الخاتم ﷺ، وكذلك الإشارة الواضحة إلى الغَيبة، باعتبارها مفصلاً تاريخيًّا مركزيًّا، يُشــكِّلُ محورَ الابتلاء والامتحان لقافلة البشريّة، إلّا أنَّ أهمَّ إشارةٍ تُشير إليها هذه الرِّواية هي أنَّ الإمام (عج) ســيَملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا، لا كما توهَّم البعضُ وبَنى على ذلك الفهمِ الخاطِئِ مَبانيَ خاطئة، وهي أنَّ الإمام سيَملأ الأرضَ قســطًا وعدلاً بعدَما مُلِئَت ظلمًا وجورًا، فبدأ يُنظِّر للانتظار السَّــلبيِّ وعدم الاستعداد، باعتبار أنَّ امتلاء الأرض بالظُّلم والجور هو أمرٌ حتميٌّ، ولذلك فلندَعْ ذلك يَحصل أو فلْنُساعِدْ به على بعض المبادئ الباطلة.

إنَّ هذا الفهمَ المغلوط والخاطِئَ يُشكِّلُ مخالفةً فاضحة لمفاهيم القرآن، التي تَدعو إلى رفض الظُّلم، وعدم الرُّكون إلى الظالمين، قالَ اللَّهُ -تعالى-:

1 - محمــد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج51، ص72، بــاب ما ورد من إخبار الله والنبي صلى الله عليه وآله بالقائم عليه السلام من طرق الخاصة والعامة، ح 16.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود: 113].

بل إنَّ ذلك يَعني تعطيل أهمِّ فرائض الإسلام وأحكامه وتشريعاته، كفريضة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكَر، والدَّعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وهي تكاليف عامّةٌ لا تَختصُّ بزمان دون زمان، أو مكانٍ دون آخر.

على أنَّه ليس معنى (تمَتلئ الأرضُ ظلمًا وجورًا) الواردة في بعض النُّصوص هو أن تَنعدم قِيَمُ الحقِّ والتَّوحيد والعدل على وجه الأرض، ولا يَبقى موضعٌ يُعبَد الله فيه، فهذا الأمر مستحيلٌ، وهو على خلاف سنن الله، وإلّا فماذا نفعل بالرِّوايات التي تُصرِّحُ بضرورة توفُّر القادة الثَّلاثمائة والثَّلاثة عشر لحركة الإمام، بالإضافة إلى العدد الكبير من الأنصار والجنود الذين يَحتاجُهُم الإمامُ في عمليّته التَّغييريّة، كما أنَّ غيبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بسبب طغيان الشرِّ والفساد والظُّلم، فكيف يكون طغيان الفَساد والظُّلم شرطًا وسببًا لظهور الإمام عليه السلام وخروجه؟

فالمقصود بهذه الكلمة طغيانُ سلطان الباطل على الحقِّ في الصِّراع الدَّائر بين الحقِّ والباطل، من هنا لا بُدَّ للإمام (عج) من أنصارٍ وجنودٍ وقادةٍ يُسهِمونَ على كلِّ الصُّعُد والمُستوياتِ في التَّمهيد لظهوره المبارك، وفي إنجاحِ هذه النَّهضة المَهدويّة.

انطلاقًا من ذلك يتَّضح أنَّ المُرادَ بالإرهاصات، بشكلٍ عامٍّ، الأحداثُ التي تصبُّ في صالح ظهور الإمام، بمعنى أنَّها تمُهِّد ولو عن بُعدٍ لقُرب ظهور الإمام (عج)، وفرقُها الأساسيُّ عن علامات الظُّهور أنَّ العلامات

هــي الأحداث المُقارِبة زمنًــا لظهور الإمام المهدي (عــج)، أمَّا المقصود بالإرهاصــات التي يَعمل الإمامُ على تَغييرهــا فهي تلك الإرهاصات التي تتعلَّق بامتلاء الأرض ظلمًا وجورًا، وهذا وإنْ كان سـيَحصل كما أشــارَت الرِّوايــاتُ، إلاّ أنَّ ذلك لا يَعني أنْ نُســهِم في حصوله، بل علينا مواجهته؛ لأنَّ وظيفةَ الإمام الأولى عند ظهوره ستكون تبديله تمامًا بالقِسط والعدل. وأهمُّ تجليّات هذه الإرهاصات تكمُن في ثلاثة أمورٍ أساسيّة:

1 - اختلال الأوضاع الأمنيّة

تُشير الرِّواياتُ إلى أنَّ الإمامَ عندما يَظهر يكون الوضعُ الأمنيُّ مختلاًّ بشكلٍ كبير، بحيث تكثر الفتنُ إلى حدٍّ مُروِّع، يُروى عن الإمام الجواد عليه السلام قولُه: "لا يَقوم القائمُ عليه السلام إلاّ على خوفٍ شــديدٍ من النَّاسِ وزلازلَ وفتنة، وبلاءٍ يُصيب النَّاسَ وطاعونٍ قبلَ ذلك، وسيفٍ قاطع بينَ العرب، واختلافٍ شديد في النَّاس، وتشتُّت في دينهم وتَغيير من حالهم..."[1].

كذلك دلَّت الأخبــارُ الدَّالةُ على الجزع من صعوبة الزَّمن وضيق النَّفس الشــديد، وذلك بسبب كثرة السَّرقات، والاســتخفاف بالدِّماء والأعراض؛ فقد رُوي أنَّه يُعاني المؤمنون في زمان الغَيبة من ضنكٍ شــديد وبلاءٍ طويلٍ وجــزع وخوف، فمن ذلك أنَّ الرَّجل يمرُّ بقبرِ أخيه فيَقول: يا لَيتني مكانَه، وذلك يُشــكِّل نتيجةً طبيعيّةً للشُّــعور بالمَشــاكل والمَصائب التي يمرُّ بها الفردُ في المجتمع المُنحرِف.

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 231، ح96.

من هنا كان على كلِّ فردٍ منّا ألَّا يُسهِم في هذا التردِّي الخطير للأوضاع الأمنيّة الذي يسبق الظُّهور؛ ولعلَّ ظهورَ الحركات التكفيريّة، وازديادَ نشاطها في الفترة الأخيرة، وما تقوم به من أعمال قتلٍ وسلبٍ وممارسات وحشيّة وإرهابيّة في سوريا والعراق وغيرها من البلدان، هو أحد مظاهر هذا الاختلال، بالإضافة إلى استمرار الدُّول الاستعماريّة في عمليّة سَحق الشُّعوب المُستضعَفة ونهب خيراتها ونشرها لأفكارٍ خطيرة كالحريّة المُطلقة للإنسان بأنْ يَفعل ما يريد حتّى لو أضرَّ بغيره، وما تَقوم به بعضُ الدُّول من تخفيف للعُقوبات على الجرائم الكبيرة كالقتل والسَّرقة، بحيث تَنتفي العقوباتُ الرَّادِعة، فلو كان القاتلُ يُقتَل والسَّارق تُقطَع يدُه، كما في أحكام القصاص الإسلاميّة، لما وصلتِ الأمورُ إلى هذا الدَّرك الخطير.

2 - سيادة التديُّن القِشريِّ وتراجُع الحالة الدِّينيّة

تُشيرُ الرِّوايات الواردة عن الرَّسول وأهل بيته (عليهم السلام) إلى تراجُع كبير في الجانب الدِّينيِّ، يَحصل قبل الظُّهور، بحيث يُصبح الرَّجلُ مؤمنًا ويُمسي كافرًا، كما في مضمون بعضها، أو كما يَروي الشَّيخُ الطُّوسيُّ في الأمالي عن رَسول الله صلى الله عليه وآله: "يأتي على النَّاسِ زَمانٌ الصَّابرُ مِنهُم على دِينِه كالقابضِ على الجَمر."[1].

إضافةً إلى ذلك تَكثر النِّزاعات الفكريّة والعقائديّة واختلاف الناس

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 28، ص47.

بـالآراء؛ حيـث دلَّـت الأخبـارُ على وجـود الحـيرة والبَلبلـة في الأفكار والاعتقـاد؛ كالخبر الذي رُوي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال عن المَهدي عليه السلام: "يكون حيرةٌ وغيبةٌ تَضلُّ فيها أقوامٌ ويَهتدي فيها آخَرونَ"[1]، والحيرةُ هنا قد يُراد بها عدّةُ وجوه، أهمُّها: الحيرةُ في العقائد الدِّينية، نتيجة الانتشـار الكبير للتيّارات الباطلة والمُنحرفة التي تُحاولُ حرفَ النَّاس عن مسـاراتهم الدِّينيّة والفِطريّة، عبر بثِّ السُّموم والأفكار المُنحرفة، وتَعطيل القيـم، وتحريف معانيها، يُضاف إلى ذلك مـا تُعانيه الأمّةُ من جهلٍ وفراغٍ فكريٍّ، وكلُّ ذلك يُؤدِّي بالفرد الاعتيادي إلى الانحراف، وقد تكون الحيرة في الإمام المهديِّ عليه السلام نفسـه، بمعنى أنَّ طولَ غيبته يُوجبُ وُقوعَ النَّاس في الشـكِّ والاختلاف في شـأنه، عبر بثِّ الشُّـبهات المُتعلِّقة بوُجوده أو بولادته أو حياته أو طول عُمره، وهذا نجدُه كثيراً في عصرنا الحاضر، وأدَّى بالبعض إلى نفي العَقيدة المَهدويّة من أساسـها، بناءً على هذه الشُّـبهات الواهيـة، أو الحيرة بالجهاد الواجب في زمـن الغَيبة من دون قائدٍ ومُوجِّه، عبر الاختلاف في كيفيّة التَّعامُل مع الأحداث والوقائع والتحدِّيات في ظلِّ غَيبة الإمام المعصوم عليه السلام.

إنَّ الزَّمـانَ الـذي نعيش فيه كـثرتْ فيه التَّحدِّيـاتُ الفكريّـة والثقافيّة، نتيجة انتشـار وسـائل التواصُل الاجتماعيِّ والعَولَمة وسُرعة الوُصول إلى المعلومة، بالإضافة إلى المُحاولات المُسـتميتة للغرب لحَرف النَّاس عن دينهم، وخصوصًا الشَّـباب، عبر تشـجيعِهم على اتِّبـاع الموضة الغربيّة،

1 - النعماني: الغيبة، ص 104، باب 4 ما روي في أن الأئمة اثنا عشر إمامًا، ح 4.

والتَّشكيك في الحجاب ووجوبه وفلسفته، وصولاً إلى أفكار الإلحاد وإلباسها أثوابًا جديدة، عبر الحديث عن (وهم الإله) و(الشيء من لا شيء)، أو الرُّبوبيّة وإنكار الأديان والوحيانيّة، والقول بأنَّ العقل وحدَه قادرٌ أن يُحقِّقَ الصِّلةَ مع الله، ثمَّ المَوجة الجديدة عبر التَّرويج للأفكار النسويّة والجندر والتحوُّل الجنسيِّ والشُّذوذ الجنسيّ، وذلك باستخدام آلة الدِّعاية الغربيّة، وبثِّ الإشاعات، والتسترُّ بمبادئ قِيَميّة ومَعرفيّة، وَتطبيقها تَطبيقًا خاطئًا.

من هنا تبرزُ أهميّةُ مواجهة هذا الكمِّ الهائل من الأفكار المَغلوطة، وذلك بسلاحَين أساسيَّين:

أ- البَصيرة والتفكُّر بالأمور عبرَ العِلم بالزَّمان والمكان وتَحليل الأحداث وعدم الأخذ بالقُشور والظَّواهر، كما يُروى عن الإمام الصادق عليه السلام العالِمُ بزَمانِه لا تَهجُمُ عليه اللَّوابسُ"[1]، أي لا تَدخل عليه الشُّبهات، ولا تلتبس عليه الأمورُ، ولا تَختلطُ عليه الأوراق كما يقال، ولا يَضطرب، بل يكون على بصيرة من أمره، والمَقصود بزمانِه أي أهلِ زمانه وأحوال زمانه، وليس المعرفة بنفس الزَّمان المُتكوِّن من ساعات اللَّيل والنَّهار.

وذلك لا يختصُّ بفئة أو شريحة معيَّنة، فإنَّ المعرفة بأحوال الزَّمان وأهله مطلوبةٌ من كلِّ عاقل ذي بصيرة، ففي كتاب الكافي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: "في حُكم آلِ داودَ على العاقل أن يَكونَ عارفًا

1 - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج 1، ص 27، كتاب العقل والجهل، ح 29.

بزمانه، مُقبلاً على شـانه، حافظًا للسانه"[1]، أي يكون مُلتفتًا لإصلاح نفسه ومحاسـبتها وتَحليتها بالفضائـل وتنقيتها من الرَّذائل، حافظًا للسـانه عن اللَّغـو والباطـل، وضرورةُ هذه المعرفة والحاجةُ إليها تَـزداد كلَّما ازدادَت مسؤوليّةُ الفرد، لذا كان العلماء المُتصدُّونَ لقيادة الأمة وإرشادها وهدايتها وإصلاحهـا أَولى بتَحصيل هـذه المَعرفة، لأنَّ التبـاسَ الأمور على العالِم واضطرابَهـا يُؤدِّي إلى التباس الأمور على النَّـاس والمُجتمع، من هنا وردَ عن أمير المؤمنين عليه السلام: "حَسبُ المَرءِ من عِرفانه عِلمُهُ بزَمانه"[2].

ب - جهاد التَّبيين عبرَ تصدِّي كلِّ فرد، بحسـب وظيفته ومقدرته وعِلمه، لتَبيـينِ الدِّينِ والحـقِّ والردِّ على الشُّـبهات والأفكار الخاطئة، سـواء في السـاحة الحقيقيّة أو في السـاحة الافتراضيّة، فعِلاجُ البروباغندا والحرب الإعلاميّة هو التَّبيين، تَبيينُ الحقيقة، على مختلف الألسـن، ومن مختلف الحناجـر، وبشـتَّى التَّعابير والابتـكارات، وقد ركَّزَ قائدُ الثَّورة الإسـلاميّة السـيّد الخامنئي كثـيراً على هذا المصطلح والمفهوم، وأهميّته وأقسـامه، وصـدر كتابٌ في هذا المَجال، حيث يقول في أحد خطاباته: "تقعُ الدِّعايةُ الإعلاميّـة في مُقدَّم مُخطَّطـات العدوّ، ووَفق قولِهـم: البروباغندا. علاج البروباغندا هو التَّبيين، تَبيين الحقيقة، على مختلف الألسن، ومن مختلف الحناجر، وبشـتَّى التعابير والابتكارات، التَّبيين، تلك الوَسوسـةُ التي تُؤثِّر

1 - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج2،ص116، باب الصمت وحفظ اللسـان، ح20.

2 - محمد باقر المجلسي: ج 75، ص 80، ح 66.

في ذاكَ الفَتى أو الشَّـابِّ ما الذي يُزيلهـا؟ لا يُمكِنُ للهراواتِ فِعلُ ذلك. التَّبيين هو ما يُزيلها.

هذه النُّقطة الأولى، يَجب أخذُ جهاد التَّبيين على محمل الجِدِّ. الجَميعُ، في الحَـوزات والجامعات وخاصّة في مؤسسـة الإذاعـة والتلفزيون وفي الصُّحـف، في النقاط كلِّها، وأينَـما تَقفون وحيث، فهناك شـعاعٌ حولكم يُمكِنُكم التَّأثير فيه، لا بدَّ لكم من التَّبيين، التَّبيين السَّليم والصَّحيح"[3].

3 - تردِّي المستوى الاقتصادي وانتشار الجُوع والفقر

تُشـير الرِّوايـات والنُّصوص المَنقولة أنَّ المسـتوى الاقتصـادي للنَّاس بشـكلٍ عامٍّ، قبل الظُّهور وإنشـاء دولة العدل الإلهيِّ، إلى تَراجُعِ الأوضاعِ الاقتصاديّة بشكلٍ عامّ، بحيث يَنتشر الفقرُ بين معظم النَّاس، ومَرجعُ ذلك في الغالب إلى انتشـار الطبقيّة بينَ أفـراد المُجتمع، بحيث تتحكَّمُ قِلَّةٌ من النَّاس بأغلب خيرات الأرض، وتتركَّز الثَّروة في أيديهم، فيما أغلبُ النَّاس يُعانون من ضنك العيش.

إنَّ تلـك الأوضاع التي تَبدأ بالتدهوُر شـيئًا فشـيئًا، لتَزداد الأمور سـوءًا وتعقيـدًا أكثر فأكثر، يكـون لها أعظَمُ الأثر في شـدِّ النَّاس نحـو المُنقذ، ولَفـت انتباه البشرية إلى أنَّه لا بدَّ من يومِ الخـلاص، اليومِ الذي تُملأُ فيه الأرضَ قسطًا وعدلاً بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا، حينما تَضيق السُّبل ويقف العلمُ الحديث بكل إمكاناته وما وصل إليه من التطوُر والرُّقيّ، حينَما يقف

3 - من خطاب له بتاريخ 09 - 01 - 2023.

عاجزًا أمام حلِّ مشاكل النَّاس، ويَعجز عن تَسيير الحياة بعجلتِها المُسرعة على الاتجاه الصَّحيح.

هناك ترابطٌ أشار إليه القرآن الكريم بينَ شُيوع الفساد وانتهاك الحُرمات وابتعاد النَّاس عن القيَم الإنسانيّة ومبارزة الله تعالى بالمَعصية، وبين انعدام البرَكة وانقطاع الخير والرَّحمة عن الناس، قالَ اللَّهُ -جَلَّ في عُلاه-: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [النحل:112].

من هنا ستشــهدُ بعضُ البُلدان موجةَ جَفافٍ بسبب انقطاع الأمطار عَنها وجفــاف الأنهار، وقد يتحــوَّل المطرُ، الذي هو رحمــةٌ، إلى نقمةٍ ويكون مُدمِّــرًا للبلاد، فيَفســد الزَّرعُ ويَقلُّ الثَّمرُ ويَنتشر الفقــرُ والجوع، ومن أبرز الرِّوايــات الواردة في هــذا المجال ما ورد عن النبي (صــلى الله عليه وآله وســلم): "يأتي على النَّاسِ زَمانٌ... فعِندَ ذلك يَحرِمُهُمُ الله قَطرَ السَّماءِ في أوانِه، ويَنزِلُ في غير أوانِه"[1].

وعن الإمام عليّ عليه السلام قال: "ويَقِلُّ المَطرُ، فلا أرضَ تُنبِتُ، ولا ســماءَ تُنزِلُ، ثم يَخرج المَهديُّ عليه السلام"[2].

كما أنَّ ســوءَ التَّخطيط والتَّوزيع من الأســباب الموجبة لتحقُّق التَّدهوُر

1 - محمــد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج22، ص 453، باب فضل أمته (ص) وما أخبر بوقوعه فيهم، ح 11.

2 - ابــن طاووس: التشريف بالمنن في التعريف بالفتن المعروف بالملاحم والفتن، ج1، ص 263.

الاقتصاديِّ، وأنَّ السياسات الاستبدادية للأنظمة الحاكمة، والصِّراعَ الدَّوليَّ والإقليميَّ، والحروبَ والنِّزاعات، كلُّها أسبابٌ مباشرة تُؤدِّي إلى الفقر والإفقار، بل وانتشار المَجاعات، حيث وردَ أنَّه قُبيل الظُّهور يكون هناك غلاءٌ فاحشٌ، وارتفاعٌ كبيرٌ بالأسعار.

رُوي أنَّ الصَّادقَ عليه السلام قال: "إنَّ قُدّامَ القائم علاماتٍ تكونُ من الله -عزَّ وجلَّ- للمُؤمنين، قلتُ: وما هي جَعلني اللهُ فِداكَ؟ قال عليه السلام: ذلكَ قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿**ولَنَبلُوَنَّكُم**﴾ يَعني: المُؤمنينَ قبلَ خروج القائم عليه السَّلام ﴿**بشَيْءٍ مِنَ الخوفِ والجُوعِ ونَقصٍ مِنَ الأموالِ والأنفُسِ والثَّمراتِ وبَشِّرِ الصَّابرينَ**﴾. قال: يَبلوهُم (بشَيءٍ من الخَوف) من مُلوكِ بَني فلانٍ في آخرِ سُلطانِهم، (والجُوعِ) بغَلاءِ أسعارِهم، (ونَقصٍ مِنَ الأموالِ) قال: كَساد التِّجارات وقلّة الفَضل، ونقص من (الأنفس) قال: وموتِ ذَريع، (والثَّمرات)، قال: قلّة رَيعِ ما يُزرَعُ. (وبَشِّرِ الصَّابرينَ)، عندَ ذلكَ بتَعجيلِ خُروجِ القائمِ."[1].

● المبحث الثاني: كيفيّة تحقيق الإرهاصات الإيجابيّة لدولة الإمام (عج).

مرَّ في المبحث الأوّل الحديثُ عن الإرهاصات السَّلبيّة للظُّهور، والتي يَنبغي أن يَسعى كلّ فردٍ إلى إلى تجنُّبها والابتعاد عن المشاركة فيها. والكلام الآنَ عن الإرهاصات الإيجابيّة التي لا بدَّ للفرد من القيام بمُقتضياتِها، والتحلّي بخِصالها، لكي يكون من المُمهِّدينَ والمُنتظِرينَ

1 - الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ج1، ص 677، ما روي من علامات خروج القائم (ع)، ح 3.

الحَقيقيِّينَ للإمام (عج).

1 - الانتظار الإيجابيّ والفعّال: إنَّ حالةَ الانتظار باتَت ظاهرةً تتعمَّق يومًا بعد آخر، وتترسَّخ أكثرَ في نفوس المُحبِّين، وخاصّةً مع ما يَتبلور اليومَ في الواقع العالَميِّ الرَّاهن من اتِّجاهات، وما يَحصل من مخاطر جَسيمة، تُنبئُ بنُشوب حرب عالمية وتهديدات نووية، تُصادر الحياةَ والإنسانَ وإرادتَه الحرّةَ في بلوغ حياةٍ كريمة.

وكلَّما تعمَّقَت الهَيمنةُ الاستكباريّة على مُقدّرات الشُّعوب المُستضعَفة والفَقيرة، تحت شعارات مختلفة كالعولمة أو النِّظام العالمي الجديد، أو الحداثة وما بعد الحداثة، وضرورة انخراط الجميع في مُتطلَّباتها، فرَضَ الانتظارُ نفسَه كقانونٍ إنسانيٍّ عامٍّ، وسبيل للخلاص من مظاهر الظُّلم والجور.

وعلى الرّغم من ذلك نشأتْ طوالَ التَّاريخ مَفاهيمُ وتصوُّراتٌ خاطئةٌ عن الانتظار، جعلت أصحابَها يتملَّصون من كلِّ مَسؤوليّة في العمل التَّمهيديِّ، مُبرِّرينَ لأنفسهم حالةَ الخنوع والخضوع، عبر الاستغراق في الدُّعاء واعتباره الطَّريقةَ الوحيدة والسَّليمة للانتظار والتَّمهيد، أو اعتزال المجتمع كليًّا وعدم تعريض النَّفس للمخاطر، لكي يَحفظ الفردُ نفسَه ويَضمنَ كونَه جُنديًّا في جيش الإمام، وصولاً إلى أخطر مفاهيم الانتظار، وهو ما يُسمِّيه الشَّهيد مطهّري بالانتظار المُخرِّب: " يَقوم هذا التصوُّر على أنَّ ظهور الإمام رهينٌ بامتلاء الأرض ظُلمًا وجورًا، كما جاء في الرِّوايات. فامتلاء الأرض بالمَفاسد والانحطاط هو الشَّرط الموضوعيُّ للظُّهور، ومن هنا فعَلينا ألاَّ نقفَ في وجه هذه الانحرافات حتّى لا نُعطِّلَ ظهورَ الحُجّة عجَّلَ الله تعالى فرجَه، ونتيجة لذلكَ فإنَّ هذا التصوُّرَ يَدين كلَّ إصلاح؛ لأنَّ الإصلاحَ يُشكِّل

نقطةً مُضيئةً على ساحةِ المجتمع العالميِّ ويُؤخِّرُ الإمدادَ الغَيبيَّ"[1].

في مواجهــة هذا المفهوم الخاطئ للانتظار لا بدَّ من طرح فكرة الانتظار الإيجابيِّ والفَعّال، وهو ما عبرَّ عنه الشَّــهيد الصَّدرُ الثاني بقوله: "المفهومُ الإسلاميُّ الواعي الصَّحيحُ للانتظار هو التوقُّعُ الدَّائم لتنفيذ الغرض الإلهيِّ الكبــير، وحصول اليوم الموعــود الذي تَعيش فيه البشريــةُ العدلَ الكاملَ بقيــادة وإشراف الإمام المهدي عليه السلام. وهذا المعنى مفهومٌ إســلاميٌّ عامٌّ تَشــترك فيه المَذاهب الكبرى في الإســلام، بعد تواتُر أخبــار المَهديِّ عن رســول الإســلام صلى الله عليه وآله بنحو يَحصل اليَقينُ بمدلولها، وينقطــع العذرُ عن إنكاره أمام الله عز وجل"[2].

وكذلك يُعبِّر عنه (الشَّيخ الآصفيُّ) بالانتظار الحركيِّ أو المُوجَّه[3]، وهذا يَظهــر بمُلاحَظة النُّصوص التي جعلَت من الانتظار عبادةً شــاملةً، يتحرَّكُ عبرَها المُؤمنــونَ إلى مَرضاة الله، بل جعلَته أفضــلَ أعمال الأمّة، وأفضلَ العبــادة، وهو يَحصل عــبرَ الاســتعداد الدَّائم، وعلى جميع المُســتويات النَّفســية والفكريّة والسُّلوكية، وعبر نسج العلاقة المُميَّزة معه على مختلف الأصعــدة، إلّا أنَّ الصَّعيــد الأبرزَ هو أن يكون الفردُ مُنتظِــرًا حقيقيًّا، فيَقوم بتهذيب نفسه، بحيث يُصبح بسيرته وسلوكه داعيةً لإمامه عليه السلام أينَما ذهب، ويَذكر الإمامَ ذِكرًا خفيًّا مُكابِدًا فيه شوقَ الانتظار للقاء المَحبوب.

1 - مرتضى مطهري: نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، ص 48.

2 - محمد صادق الصدر: تاريخ الغيبة الكبرى، ص.ص. 291 - 292.

3 - راجع: محمد مهدي الآصفي: الانتظار الموجه دراسة في علاقة الانتظار بالحركة.

كذلـك فإنَّ التأمُّـل في الحقل المعجمـيِّ لهذه المفـردة، في المعاجم اللُّغويّـة المختلفـة، يُظهـرُ أنَّ المعاجمَ اللغويّة قد أرسـلت هـذه المفردةَ إرسـالَ المُسلَّمات، كما أنَّ جميعَ ما ارتبط بهذه المُفردة من حقلٍ مُعجميٍّ يتضمَّـن معنًى حَركيًّـا وحَيويًّا، ولم تنصَّ المعاجمُ على معانٍ سـلبيّة لهذا المَفهـوم، بل صيغةُ الانتظار تدلُّ على الاجتهـاد، وهي عمليّة اختياريّة لا قَهريّـة، فيها الكثـيرُ من التعمُّل والتفكُّر والتأمُّل، مـن هنا إذا أردنا تعريفَ هـذا المفهوم فالتَّعريف الأفضـلُ له أنَّه: كيفيّةٌ نفسـانيّة يَنبعثُ منها التهيُّؤُ لِما تَنتظره، أي: هو حالة من الشُّـعور بعَدَمِ الارتياحِ من الوَضع المَوجود، والسَّعي إلى إيجاد الوَضع الأفضل والأحسن[1].

إنَّ هذا الانتظار يتجلَّى في ثلاثة جوانب رئيسيّة هي:

أ-الجانب الفكريّ للانتظار: وهذا الجانب يتجلَّى في بُعدَين رئيسيَّين هما:

البُعـد الأوَّل: فَهـمُ الحِكمـة الأساسـيّة مـن الانتظار، التـي تتمثَّلُ في التَّمحيص والابتلاء والغَربلة وبقاء الثُّلّـة الصَّادقة التي ماحَكَتْها التَّجاربُ والبلاءاتُ، ومع ذلك ظلَّت صابرةً محتسبةً؛ عن جابر الجعفيِّ قال:" قلتُ لأبي عبد الله عليه السَّـلام متى يَكـون فَرجُكُم؟ فقال: هيهاتَ هيهاتَ، لا يكون فرجُنا حتَّى تُغَربَلوا ثمَّ تُغَربَلوا ثمَّ تُغَربَلوا -يقولُها ثلاثًا- حتَّى يَذهَبَ الكدرُ ويَبقى الصَّفْوُ"[2].

1 - راجع: الشيخ حسن المصطفويّ: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج4، ص79.

2 - محمـد باقر المجلسي: بحار الأنـوار، ج 52، ص 30، باب التمحيص والنهي عن التوقيت، ح28.

وعن أبي جعفر محمّد بن عليٍّ عليه السلام: "واللــهِ لَتُمَيَّزُنَّ، واللهِ لَتُمَحَّصُنَّ، واللهِ لَتُغَربَلُنَّ كما يُغربَلُ الزّوانُ من القَمح"[1].

البُعد الثَّاني: إثباتُ كونِ الانتظارِ سُنّةً رَبّانيّةً تاريخيّة، بحيثُ تكمُنُ أهميّةُ إثباتِ هذا الأمرِ في عدّة نقاط:

أ- شـعور المُنتظِرين للقائم المهديِّ (عجَّل اللـه تعالى فرجَه الشَّريف) بأنَّهم لَيسـوا وحدَهُم مَن يَخضعون لقانون الغَيْبَة والتَّمهيد والانتظار على سـاحة التَّاريخ الإنسـانيِّ، وأنَّ ظاهرة الغَيْبَة وطُول الانتظار لَيسـت ظاهرةً استثنائيّة أو اتِّفاقيّة، بل وُجدت بين الأمم السابقة.

ب- تأطير كيفيّة تعامُل المُنتظِرِ مع هذه المَسـألة، فيَتعامل معَها بوصفِها قانونًا له أسـبابُه ومُسـبَّباتُه، وبالاطِّلاع عليها يمُكنُه مـن خلال اجتهادِه أن يَرفع بعضَ المَوانع، ويُحقِّقَ بعضَ الشَّرائط، التي تُقصِّرُ من مدّة الانتظار.

من هنا نجدُ الشَّهيدَ محمد باقر الصَّدر ركَّزَ على سننيّةِ هذه الظَّاهرة، لِتَوفُّرِ كلِّ أركان السُّنّة فيها، فقد أرسى الشَّهيد الصَّدرُ (قدس سره) ثلاثةَ أبعاد تمُيِّزُ السُّنَن التاريخيّة عن غيرها، وهذه الأبعاد تنطبق على الانتظار، وهي:

- كون الانتظار قانونًا له أسبابُه ومُسبَّباتُه.
- الغائيّـة والهَدفيّـة، فهـي تُعبرِّ عن علاقـة بين نشـاطٍ وغايةٍ لهذا النَّشاط.
- الأرضيّة الاجتماعيّة الواسعة المُستهدَفةُ بهذه الظَّاهرة[2].

---

1 - النعماني: الغيبة، ص 137.

2 - راجع: محمد باقر الصدر: السنن التاريخيّة في القرآن، ص.ص.75 - 84.

لا بدَّ من الوَعي التَّفصيليِّ بالمُستقبل، فالمُستقبَلُ هو المُحرِّكُ الأساسيُّ للأُمم والمُجتمعات، وبقدر ما يكون المستقبلُ حاضرًا في وعي الجماهير يكـون زخمُ الحركة نحـوَه قويًّا فعّـالاً، فالذي لا يُؤمِن بالمسـتقبل مُهدَّدٌ بالجمود التاريخيِّ، وبقدر ما تكون تَفصيلاتُ المسـتقبل واضحةً، وأبعادُه بيِّنةً، يكون المسارُ التَّاريخيُّ رَشيدًا ثابتًا مُتصاعِدًا بلا انحرافٍ ولا تردُّد"[1].

ب- الجانب النَّفسي للانتظار:

يتجلَّى هذا البُعد بعدّة أمورٍ أساسيّة:

1. الإحسـاس بالاسـتعداد الكامل لتطبيق أُطروحة مجتمع الظُّهور عبر الشُّـعور بأنَّ انطلاقـةَ النَّهضـة المَهديّة قَريبـةٌ، وأنَّ احتمال ظهورِه في أيِّ وقتٍ واردٌ.
2. الارتبـاط العاطفـيُّ بالمهديّ (عـج): إنَّ من أهمِّ الوَسـائلِ التي يُمكـن أن يلجأ إليهـا الفردُ منّـا، لتَعزيز علاقتِـه بالإمام المهديّ (عج)، هي تعزيـزُ الارتباط الرُّوحيِّ والإيمـانيِّ والقلبيِّ به، عبر السَّـعي إلى تَحقيـق الأهداف التي سـيَظهر من أجـل تَحقيقها، ومحاولـة صُنع ظُهوره عبر التَّمهيد الإيجـابي لهذا الظُّهور، وقد بيَّنَـت الكتـبُ والرِّواياتُ كيفيّـةَ تَعزيز هذا الارتباط، والوسـائلُ تُسهِم في ذلك منها:
3. ذكرُ الإمام (عج) على الدَّوام، ويمُكِنُ تَقسيمُ الذِّكرِ له إلى نوعَينِ أساسيَّين:

1 - راجع: الأسـعد بن علي قيدارة: النظريّة المهدويّة في فلسـفة التاريخ، ص 160.

الذِّكـر القَولي، فذِكر الإنسـان لمَحبوبـه مَدعاةٌ لتَركيـز العلاقة وتمَتينِ الارتبـاطِ، مُضافًا إلى ما فيه مـن ثمرات عديدة، وليسَ المقصودُ من الذِّكر اللِّسـانيَّ، لأنَّه مُجرَّدُ لقلقةِ اللِّسـان وتَلَفُّظ بحـروف وكلمات دونمَا وعي واختـزانٍ لِمَعانيها والتأمُّل في مُعطياتِها، فإنَّ ذلك لا يُجدي نفعًا، ومن هنا كان لا بدَّ من السَّـعي لتجسـيد الألفاظ وتَطبيقها عمليًّا على أرض الواقع، وأهمُّ عنصرٍ في هذا الذِّكر هو الدُّعاء للإمام (عج) بحِفظه، كما في الدُّعاء المَعروف، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الأدعية والزِّيارات التي تُضفي على الدَّاعي طابعًا روحيًّا عاليًا، بحيث يَشعر وكأنَّ الإمامَ بقُربِه، وأهمُّها:

دعاء العَهد: وهو الدُّعاء المَرويُّ عن الإمام الصَّادق عليه السلام، حيث قـال: "مَـن دَعا إلى الله تعالى أربعـينَ صَباحًا بهذا العَهـد كانَ من أنصار قائمِنـا، فإنْ مـاتَ قبلَهُ أخرجَهُ اللهُ تعالى من قَـبرِهِ وأعطاهُ بكلِّ كلمةٍ ألفَ حسنةٍ، ومَحا عنه ألفَ سيِّئة"[1].

زيارةُ آل ياسين: وهي زيارةٌ واردةٌ من النَّاحية المُقدَّسةِ، حيث قال الإمامُ المَهديُّ عليه السَّلام: "إذا أردتُمُ التَّوجُّهَ بنا إلى الله تعالى وإلينا فقولوا كما قالَ الله تعالى: "سَـلامٌ عَلَى آلِ ياسـينَ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا داعِيَ اللَّهِ ورَبَّانيَّ آياتِهِ، السَّلامُ عَلَيكَ يا بابَ اللَّهِ ودَيَّانَ دِينِهِ...".

دعـاء الندبة: حيث يُسـتحبُّ أن يُدعـى به في الأعيـاد الأربعة (الفطر، والأضحـى، والغَدير، ويوم الجمعة). فللدُّعـاء كما ورد في الآثار المَرويّة عـن أهل البيت فوائدُ عديـدةٌ، فهو يَـرُدُّ القضاءَ المُبرَمَ، ويَزيـدُ في العُمر

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 91، ص 42، ح 25.

والـرِّزق، كما أنَّ آثـاره لا تَنحصِرُ بالمَدعُـوِّ له، بل تَشـمُلُ الدَّاعيَ أيضًا، خصوصًا إذا كان المَدعوُّ له هو الإمام الحُجّة (عج)، فمِن الآثار المُتحقِّقة بالنِّسبة للدَّاعي:

الرَّاحة النَّفسـيّة التي يَشـعر بها الدَّاعي خصوصًا، باعتبـار أنَّه يَدعو اللهَ سـبحانه وتعالى، المُتحلِّيَ بـكلِّ الصِّفات الكماليّة الجماليّـة والجلاليّة، لحفظ الإنسان الكاملِ وقُطبِ عالَمِ الوُجود.

تَغييرُ الواقعِ الذي يَعيشُـه الإنسـانُ الدَّاعي، مُضافًـا إلى الأجرِ والثَّواب الكبير، باعتباره أحدَ أهمِّ العِبادات التي تَربطُ بينَ العَبدِ وربِّه.

أمَّا الآثارُ المُتحقِّقةُ بالنِّسـبة للإمـام عليه السلام فالدُّعاء مفيدٌ له أيضًا، وذلك في تَعجيل الفرج له، فإنَّ الإسراعَ في فَرجِه مُرتبطٌ بكَثرة الدُّعاء له، وهذا لا يُنافي أنَّه مَحفوظٌ من الله، ووقتُ ظهوره من المَحتوم.

ج- الجانـب السُّـلوكي للانتظار: إنَّ تمتُّعَ الفرد منّـا ببُعدٍ فكريٍّ صحيح للانتظار لا بُدَّ أن يُنتِجَ آثارًا سـيكولوجيّة ونفسـيّة مُلائمةً، وبالتالي سلوكًا عمليًّا مُلائمًا للانتظار ولِعَظمةِ الشَّـخص المُنتَظَر، وأهمُّ أبعاد هذا السُّلوك العمليِّ الصَّحيح هي:

1. الالتزام بالأحكام الشرعيّة

إنَّ الالتزامَ الفعليَّ والسُّـلوكيَّ بتعاليم الإسـلام وأحكامه الشَّرعيّة، عبرَ فعل الواجبـات وترك المُحرَّمـات الفَرديّـة والاجتماعيّة، هو الخطـوة الأولى في المَنهـج الصحيح؛ فالفـردُ الذي يَطمح لحاكميّةِ الرِّسـالة التي يُؤمِنُ بها على مُستوى العالَم لا بدَّ أن يَبدأ بنفسه وذاته، عن أبي عبد الله عليه السلام: "مَن سَرَّهُ أن

يكـون من أصحاب القائم فلْيَنتظِرْ، ولْيَعمَلْ بالوَرَعِ ومَحاسـنِ الأخلاق، وهو مُنتظِـرٌ، فإنْ ماتَ وقامَ القائمُ بعدَهُ كانَ له من الأجرِ مثلُ أجرِ مَـن أدركَـهُ"[1].

2. مقارعة قوى الظُّلم والاستكبار

إنَّ الإمامَ غابَ حتّى لا تكونَ في عنقه بيعةٌ لظالم، كما وردَ في الرِّوايات، ووَظيفتُهُ هي مَلْءُ الأرضِ قسـطًا وعَدلًا، كما مُلِئَـتْ ظُلمًا وجَورًا، فلا بدَّ مـن الاقتداء به في مجاهدة ومحاربة قوى الظُّلم والشرِّ؛ لأنَّ دربَ الحُجّة، عجَّـل الله تعـالى فرجَه الشَّريف، هـو دربُ القطيعة الكاملـة، والمقاومة الشَّـاملة، لأولئك الطُّغـاة الجبابرة، فمَن أراد أن يكون مـعَ الإمام عليه أن يُوطِّنَ نفسَه من الآن على هذا المَنهج.

عـن الإمام المهدي، عجَّل الله تعالى فرجَـه الشَّريف: "إنَّه لم يكنْ أحدٌ من آبائي إلا وقعَتْ في عنقِه بَيعةٌ لطاغيةِ زَمانِه، وإنيِّ أخرُجُ حينَ أخرُجُ ولا بَيعةَ لأحدٍ من الطَّواغيتِ في عُنُقي"[2].

3. الارتباط بالفقهاء العُدول نُوّاب الإمام في غيبته

ورد في التَّوقيع الشَّريف المَنسوب للإمام (عج): "وأمَّا الحوادثُ الواقعةُ فارجِعُـوا فيهـا إلى رُواة حديثِنا، فإنَّهُم حُجّتي عَلَيكُم، وأنـا حُجّةُ اللهِ"[3].

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 140، ح 50.
2 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 53، ص 181، ح 10.
3 -الطبرسي: الاحتجاج على أهل اللجاج، ج 2، ص 283.

وورد أيضًا: "فأمّا مَن كان من الفُقهاء صائنًا لنفسه، حافظًا لدينه، مُخالفًا على هَواهُ، مُطيعًا لأمرِ مَولاهُ، فللعَوامِ أنْ يُقلِّدوهُ".

فالفُقهاءُ اليومَ همُ الحُجّةُ على النَّاس، كما كان الرَّسولُ حجّةَ الله عليهم، وكلُّ ما كان يُناطُ بالنبيِّ صلى الله عليه وآله فقد أناطَهُ الأئمّةُ عليهم السَّلام بالفُقهاء من بعدهم، فهُمُ المَرجعُ في جميع المُشكلاتِ والمُعضلاتِ، وكلُّ مَن يتخلَّفُ عن طاعتهم فقد تخلَّفَ عن طاعةِ الله، فلا مَعنى لانتظار المَهديِّ إذا كُنّا نتحرَّكُ في دوائرَ خارجَ القيادةِ النَّائبةِ التي نصَّ الإمامُ نفسُه عليها.

● المبحث الثالث: عوامل تَعجيل الفَرج

إنَّ المُتأمِّلَ في الأحداث التاريخيّة يَراها تَسير وَفقَ نسقٍ سُنَنيٍّ تاريخيٍّ مُتكامل؛ فالتَّاريخُ البشريُّ ليس تراكُمًا عَشوائيًّا للأحداث والوَقائع؛ بل هو صَيرورةٌ خاضعةٌ للسُّنَن والقَوانين، فكلُّ كائنٍ في هذا العالَم يَسير وفقَ مبدأ الهداية العامّة المَرسومة إلهيًّا إلى مُستقرِّه وكماله المَنشود، وما يُميِّزُ الإنسانَ عن غيره هو أنَّ سَيرَهُ التَّكامليَّ هو سيرٌ إراديٌّ وواعٍ، باعتبار أنَّ الإنسان حسّاسٌ مُتحرِّكٌ بالإرادة، وأهمُّ ما يُميِّزُه هو قدرتُه على التعقُّل وإدراك الكلِّيّات، بل هو الكائنُ الوحيد الذي حملَ الأمانة الإلهيّة، باعتبار أهليّته لها دونَ غيره، قال اللَّهُ سُبحانَهُ: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا**﴾ [الأحزاب: 72].

فهناك تدافعٌ دائمٌ على المُستوى النَّفسيِّ والمُستوى الاجتماعيِّ بين

ظلاميّة الإنسان وظُلمه وجَهله وجَهالته والرَّذائل المُستحكمة فيه، وبينَ عَقلانيَّته وعَقله وإيمانه وعمله الصَّالح الذي يُؤهِّلُه لأنْ يكونَ المُستخلَفَ والخَليفةَ، قالَ -جَلَّ في عُلاه-: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النّور:55].

إنَّ من أهمِّ مقوِّمات الاستخلاف الإنسانيِّ قيامَ مجتمع العُبوديّة الكاملة والعَدالة المُطلَقة، الذي يَستلزمُ قيادةً عالميّةً تمثِّلُ أرقى ما يُمكِنُ أن تَصلَ إليه البشريّةُ من الكمال، وفقَ تَخطيطٍ إلهيٍّ مُحكَم ومُتقَن، عبر الصِّيانة الإلهيّة للغايات الكُبرى للوُجود البشريِّ، من خلالِ تَخطيطٍ تتحرَّكُ وَفقَه المَسيرةُ الإنسانيّة نحو المستقبل السَّعيد، إلّا أنَّ هذا التَّخطيطَ ليس بمَعزل عن اختيار الإنسان وحركته الإراديّة، بل له دورٌ أساسيٌّ فيه، بل هو محورٌ الأوَّلُ والأخيرُ، فبالتالي لا مُنافاةَ بينَ التَّخطيط الإلهيِّ المُحكَم وبينَ قُدرة الإنسان من خلال سُلوكيّاته وابتكاراته أن يُعجِّلَ الفَرجَ.

فالتَّخطيطُ الإلهيُّ ليس تَخطيطًا جاهزًا وناجزًا من جميع الجهات، بحيث يكون البشرُ أدوات ووسائلَ تَنفيذيّةً مَحضة، بل إنَّ حريّةَ الإنسان وقدرتَه على صُنع الأحداث، وتَغيير مَجرى التاريخ، هي العُنصر الأساسيُّ والفَعّال في هذا المَسير، وهو ما يُمكِنُ أن نُعبِّرَ عنه بصناعة الانتظار، فعَلامات الظُّهور تُصنَعُ ولا تُنتَظَر، فلا بدَّ من الدَّمج المَفاهيميِّ والدَّمج العَمليِّ بين المَفاهيم المُختلفة المُكوِّنة للدَّولة المَهدويّة، كمفهموم التَّمهيد، والانتظار

للفرج، وتَعجيل الفرج، بحيث تُشكِّلُ بَوتقةً واحدةً مُتلائمةً ومُتناسقةً، كلٌّ منها يُنتِجُ الآخرَ ويتفاعلُ معَه.

فما يَفهمُه البعضُ من كون مفهوم الانتظار مناقضًا لمبدأ تَعجيل الفرج، لما في الأوّل من دلالات التَّسليم والصَّبر والتريُّث والترقُّب، وفي الثَّاني من دلالات الفعل والتحرُّك والعمل الدَّؤوب والجادِّ والرَّصين، هو فهمٌ خاطِئٌ وسَطحيٌّ ناتجٌ عن عدم إدراك العلاقة الجدليّة والتَّفاعُليّة بينَ هذه المَفاهيم، وهذا الدَّمجُ نَلحظُه بوضوح فيما وردَ من رواياتٍ عن النبيِّ (ص) وأهل بيته (عليهم السلام):

عَن أبي عبد الله عليه السلام: "إنَّ لَنا دَولةً يَجيءُ بها اللهُ إذا شاءَ.

ثمّ قال: مَن سَرَّهُ أن يكون من أصحاب القائم فلْيَنتظِرْ، ولْيَعمَلْ بالوَرَعِ ومَحاسن الأخلاق، وهو مُنتظِرٌ، فإنْ ماتَ والقائمُ بعدَهُ كانَ له من الأجرِ مثلُ أجرِ مَن أدركَهُ، فجدُّوا وانتَظِرُوا أيَّتُها العصابةُ المَرحومةُ"[1].

وعن الرَّسول صلى الله عليه وآله: "بالصَّبرِ يُتوقَّعُ الفَرَجُ، ومَن يُدمِنْ قَرْعَ البابِ يَلِجْ"[2].

ففي هاتَينِ الرِّوايتَينِ يَبرُزُ بوضوحٍ الرَّبطُ الأكيدُ بينَ المَفاهيم، حيث يُعبِّرُ الإمامُ بقوله: "فلْيَنتظِرْ" و"لْيَعمَلْ وهو مُنتظِرٌ"، وكذلك "فجدُّوا، وانتظِرُوا"، فالعَملُ والجدُّ هما الانتظار، والصَّبرُ وقَرعُ الأبواب يَتكاملان في تَحقيق مَنظومةِ التَّمهيد والانتظار؛ بل يُمكِنُ القولُ إنَّ الرِّواياتِ تُشيرُ إلى حقيقة

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 140، ح 50.

2 - م. ن، ج 68، ص 96، ح 61.

كون الانتظار الصَّحيح هو الانتظار العامِل والعَمليّ المُنتِج، وليس الانتظارَ المُترقِّبَ والمُتفرِّج والمُستهلك لكلِّ ما يأتي إليه ويَفِدُ عليه من ثقافاتٍ وقِيَمٍ، والصَّبرُ الصَّحيحُ هو المُصابَرُ والمُرابَطُ والحَركيُّ.

انطلاقًا من هذه الرُّؤية الجامعة لمفاهيم التَّمهيد والانتظار يمُكنُ مُعالجةُ كلِّ الإشكالات والشُّبهات التي تَنطلِقُ من فَهمِ بعض مَضامينِ الرِّواياتِ فَهمًا خاطئًا، وأهمُّ هذه الشُّبهات شُبهتان:

1 - منافاةُ مفهموم تَعجيل الفرجِ لجُملةٍ مُعتبرَةٍ من الرِّوايات، تَنهى عن الاستعجال، وتَدعو للصَّبر والتريُّث في انتظار الأمر، وقد عَنونَ الشَّيخُ أبو زينب النُّعمانيُّ، وهو من أقدم المُصنِّفينَ في الغَيبة، بابًا خاصًّا في كتابه بعنوان (باب ما أُمر به الشِّيعةُ من الصَّبر والكفِّ والانتظار للفَرج وترك الاستعجال)، وأوردَ رواياتٍ عدّةً تحتَ هذا الباب منها:

- عن عبد الرحمن بن كثير قال: " كنتُ عندَ أبي عبد الله عليه السلام يَومًا، وعندَهُ مهزم الأسديُّ، فقال: جعلَني فِداكَ متى هذا الأمرُ الذي تَنتظرونَهُ؟ فقال: طالَ عَلينا، فقال: يا مهزم كذبَ المُتمنُّونَ، وهلكَ المُستعجلونَ، ونَجا المُسلِّمونَ، وإلينا يَصيرونَ"[1].
- عن أبي عبد الله عليه السلام:" هلكَت المَحاضيرُ، قال الرَّاوي: وما المَحاضيرُ؟ قال: المُستعجلونَ، ونَجا المُقرِّبونَ"[2].

إنَّ القراءة الموضوعيّة لمثل هذا النَّوع من الرِّوايات تُفيد بأنَّها في مقام

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 103، ح 7.
2 - م. ن، ج 52، ص 138، ح 43.

النَّهي عن الاستعجال المَذمومِ أو الخَطأ في تَطبيق مفهوم التَّعجيل، عبر القيام بحركات غيرِ مَدروسة بشكلٍ جيِّد، وعدم التَّبصُّر الكافي بمَوازين القوى، بالإضافة إلى عدم الأخذ بالأسباب الموضوعيّة، وإنْ كانَت دوافعُ المُستعجلينَ سليمةً، ولكنَّ الانفعالَ والخروجَ قبلَ الأوان، طمعًا في النَّصر السَّريع، دون تَوافر أسبابه، قد يَجعل النَّتائجَ عَكسيّةً.

وقد حصل هذا كثيراً في عصور الأئمّة (عليهم السلام) المُختلفة، حيث خرجَ كثيرونَ ضدَّ الحُكّامِ الظَّالمينَ بنَوايا الإصلاح ورَفعِ الظُّلم والاستبداد، والمُطالبة بالعدالة الاجتماعيّة، إلاّ أنَّ هذه الحركاتِ لم تُؤدِّ إلى النَّتائج المَرجوّة، بسبب الاستعجال وعدم قراءة الوقائعِ بشكلٍ متأنٍّ ومَدروس.

مِن هنا يُمكن أن نَفهمَ أنَّ الأئمّة كانوا دائمًا يَنصحون أصحابَهم بعدم التورُّط في مثل هذه الحركات الانفعاليّة، وانتظار الظُّروف المُلائمة، وقد أرسى الإمامُ الصَّادقُ عليه السلام هذه السِّياسة، فحين استطاعَ أبو مسلم الخراساني هزيمةَ الأمويِّينَ، ودانَت له بلادُ المُسلمينَ، عرضَ على الإمامِ مُبايعتَه بالخلافة، وكتبَ "إنيِّ قد أظهرتُ الكلمةَ، ودعوتُ النَّاسَ عن بنى أميّةَ إلى موالاة أهل البيت، فإنْ رَغبتَ فلا مَزيدَ عليكَ".

فيُجيب الإمامُ مُعلنًا فلسفتَه السِّياسيّةَ الواضحة: "ما أنتَ مِن رجالي، ولا الزَّمانُ زَماني"[1].

2 - الرِّوايات التي تَنهى عن الخروج قبل قيام القائم: ورد في المصادر الشِّيعيّة عِدّةُ رِواياتٍ قد يتمسَّكُ بها البعضُ للقَول بعدم شرعيّة التحرُّك

1 - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج3، ص356.

قبـلَ عصر الظُّهـور، وبالتَّالي تُناقِضُ هـذه الرِّواياتُ مبـدأ الجهاد ونُصرةِ المَظلومينَ والمُسـتضعَفينَ، وإقامة الحُكم الإسلاميِّ العادل في الأرض، ومن هذه الرِّوايات مثلاً:

- عن الباقر عليه السلام قال: "مَثَلُ خروجِ القائم منّا أهلَ البَيت كخُروجِ رَسـولِ الله صلَّى الله عليه وآله، ومَثَلُ مَـن خرجَ مِنّا أهلَ البيتِ قبـلَ قِيـامِ القائـمِ مَثَلُ فَرخٍ طـارَ فوقعَ مِـن وكـرِه، فتَلاعبَتْ به الصِّبيانُ"[1].
- عن أبي جعفر عليه السلام، أنَّه قال لأبي الجارود: "أُوصيكَ بتَقوى الله، وأن تَلزَمَ بيتَكَ، وتقعُـدَ في دَهماءِ هؤلاءِ النَّاسِ، وإيَّاكَ والخَوارجَ مِنَّا، فإنَّهُم لَيسـوا عـلى شيءٍ، ولا إلى شيءٍ... واعلَمْ أنَّه لا تَقوم عصابـةٌ تَدفع ضيمًا، أو تُعِـزُّ دينًا إلا صَرَعتْهم البَليّـةُ، حتَّى تَقوم عِصابةٌ شَـهدوا بَدرًا مع رسـول الله، لا يُوارى قَتيلُهُـم، ولا يُرفَعُ صَريعُهم، ولا يُداوى جَريحُهُم..."[2].
- عـن مالك بن أعين عـن أبي جعفر عليه السلام، قال: كلُّ رايةٍ تُرفَعُ قبلَ راية القائم فصاحِبُها طاغوتٌ"[3].

إنَّ القـراءةَ المتأنِّيةَ والمَوضوعيّةَ لهذا النَّوع من الرِّوايات تُظهرُ أنَّها كلَّها أو أغلبَها ضعيفُ السَّـند، وبغـضِّ النَّظر عن البحث السَّـنديِّ فيها يمُكِن

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 139، ح 48
2 - النعماني: الغيبة، ص.ص. 193 - 195، ح 2
3 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 143، ح 58.

إيرادُ عدّة مُلاحظات تُسهِم في فَهمِ هذا النَّوع من الرِّوايات فَهمًا صحيحًا:

أ. إنَّ أغلبَ هذه الرِّوايات تتحدَّثُ عن فِتنَ تَحدُثُ؛ والفِتنةُ هي التي لا يُعرَف فيها وجهُ الحقِّ. فإذا كان الحقُّ جَليًّا وواضحًا وجبَ الكونُ معَه، وإلى جانبِه، ولا يَكون المورد مشمولاً بتلك الرِّوايات.

ب. إنَّ معظمَ هذه الرِّوايات تتحدَّثُ عن قضايا خارجيّة وأحداث بعَينها، وليست في مقام إعطاء ضابطة كُلِّية، بحيث تَشمل كلَّ التَّحرُّكات التي تَهدف إلى دفع الظُّلم، وإحقاق الحقِّ والعدالة الاجتماعيّة بينَ الناس.

ج. إنَّ بعضَ هذه الرِّوايات ناظرٌ إلى غير صورةِ الجهاد لإقامة الدِّين، وإظهار الحقِّ بأمر الفقيهِ العادلِ الجامعِ للشَّرائط، الذي هو النَّائب العامُّ للإمام عليه السلام، بل هي تتحدَّثُ عن القتال من أجل تحقيق بعض المَطامعِ الدُّنيويّة ولأغراض فاسدة كالتسلُّط على الناس.

د. إنَّ مبدأ الدِّفاعِ عن النَّفس والعِرض والمال والدِّين والوطن هو مبدأ فطريٌّ تَقتضيه الفِطرةُ الإنسانيّة السَّليمة، ولا يُمكِنُ القَبول بأيِّ رواياتٍ تُناقض هذا المبدأ الأصيل.

من هنا يَجب على الفرد والأمّة العملُ بقدرِ استطاعتِهما لتَعجيلِ الفرجِ بخطواتٍ سيتمُّ التطرُّق إليها، أمّا هذه الأفهامُ السَّطحيّة فهي تُخرِّب الانتظارَ والتَّمهيدَ، وهذا ما يَذهب إليه (الشَّهيد مطهّري): "يُطلَقُ على هذا التصوُّر السَّاذج تَسميةُ الانتظارِ المُخرِّب؛ لأنَّ أصحابَه يَقفونَ ضدَّ كلِّ

إصلاحٍ وتَغييرٍ إيجابيٍّ في المجتمع، لأنَّ الإصلاحَ يُشكِّل نقطةً مُضيئةً على ساحةِ المجتمع العالميِّ، ويُؤخِّرُ الإمدادَ الغيبيَّ، كما يَعتبر هذا التَّصوُّر كلَّ ذنب وتَمييزٍ وإجحافٍ مُباحًا؛ لأنَّ مثلَ هذه الظَّواهر تمُهِّد للإصلاح العامِّ، وتُقرِّبُ مَوعِدَ الانفجار"[1].

ثمّ يُشير إلى سيِّئات هذا الاتِّجاه: "أنَّ الاتِّجاه المُخرِّبَ في فهم الظُّهور يَشترِكُ مع الاتِّجاه الديالكتيكي في معارضة الإصلاحات، واعتبار الظُّلم والفساد مُقدِّمةً ضَروريةً لانفجار مُقدَّس، ولكنَّ الفرقَ بين الاتِّجاهَين أنَّ الاتِّجاه الديالكتيكيَّ يُعارِضُ الإصلاحات، ويُؤكِّدُ على ضرورة تَشديد الفَوضى والاضطرابات، انطلاقًا من هدفٍ مُشخَّصٍ يَتمثَّلُ في تَعميق الفجوات والتَّناقضات لتَصعيد النِّضال، لكنَّ هذا التَّفكيرَ المُبتذَلَ في مسألة المَهديِّ يَفتقدُ هذه النَّظرةَ ويَرتئي زيادةَ الظُّلمِ والفَساد من أجلِ الوُصول إلى النَّتيجة المَطلوبة تلقائيًّا"[2].

انطلاقًا ممّا تمَّ التوصُّل إليه، من خلال ردِّ الشُّبهات المَطروحة حول مبدأ التحرُّك وتَعجيل الفرج، فإنَّ وظيفةَ المُؤمنِ في زمن الغَيبة هي الانتظار والتَّمهيد، وأساسُ وظيفتِه يَقوم على إعداد الظُّروف وتَهيئة الأرضيّة اللَّازمة لظُهور الحُجّة، وذلك من خلال تربية النُّفوس ورَفعِ عَواملِ الاستعداد بتَوعية الأفرادِ والجماعات بأهمِّية الانتظار وضروريته، لتَحقيق التَّهيئة والتَّمهيد لإقامة دولة الحقِّ، والإسهام الفعّال في بلورة عناصر الدَّولة

1 - الشهيد الصدر: نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، ص 48.

2 - م. ن، ص 49.

المَهدويّة على مختلف المُستويات، عبر التَّركيز على ثلاثةِ عناصر هامّة تُشكِّل بمَجموعها محورَ القَضيّة المهدويّة ومَدارها، وهي (الفكرة) أو الأُطروحة والبرنامج التفصيليُّ لهذه الدَّولة.

فالفكرةُ هي الرِّسالة التي تَحمل المفاهيمَ العامة والمَبادئ التي تَرتكزُ عليها الأُطروحة المَهدويّة، ويمُثِّل الإسلامُ روحَ هذه الأُطروحة وجوهرَها، غيرَ أنَّ التَّطبيق العالميَّ الشَّامل يَحتاج إلى تعميق الوَعي بهذه الأُطروحة، وتوسيع رَواجها بينَ الأُمم، وتَجذير الإيمانِ بما تَختزنُه من حلول لمشاكل العالم، عبر تَوسيع القاعدة الإيمانيّة فيها، وتَرسيخ معانيها في نفوسهم، وإلى تَفعيلٍ على أرض الواقع من خلال (العمليّة)، وهي التَّمهيد لظهور الحجّة، والسَّعي الدَّائم ببذل الجهد للإصلاح والتَّغيير في أرض الواقع من أجل التَّوطئة لظُهوره المُقدَّس، وهذه العَمليّةُ تَحتاجُ إلى (أدوات) فاعلةٍ ومُحرِّكةٍ لها على أرض الواقع، وهم المُنتظِرونَ الذين يُؤمنون بالفكرة ويَفعلونها على أرض الواقع من خلال العملية، ويَتفاعلون معًا كأفراد ومُجتمعات ودُوَل في حمل هذه الرِّسالة وتَفعيلها.

إنَّ هؤلاء المُنتظِرين، أو الذينَ يُمكن أن نُسمِّيَهم القاعدةَ الشَّعبية المُلتفَّة حول الإمام ومشروعه العالمي، تَنقسم إلى خاصّة وعامّة، والخاصّة هم الصَّفوة من أصحاب الإمام وأنصاره، الذين عيَّنَت الرِّواياتُ عددَهُم بعدَّةِ أهلِ بدرٍ، والعامّة وهم عُموم الأتباع والمُوالينَ لا بدَّ لهم من السَّعي الحَثيث والمُستمرِّ لتحقيق الظُّروف السِّياسية والحضارية العالمية المُناسِبة لقيام هذه الدَّولة ونَجاحِها في تَحقيق العدالة التامّة والسَّعادة القُصوى للناس بمختلف مشاربهم وانتماءاتهم.

فالمُمهِّدونَ والمُنتظرون يَلعبون دورًا أساسيًّا وفَعّالاً في تعجيل الفَرج، بحيثُ تتوفَّرُ الشُّروطُ والمُعدّاتُ اللازمة لكي يأتي العنصرُ الرَّابعُ والأهمُّ المُكمِّلُ للوحةِ الظُّهور ومَشهديّته المُشرقة، وهو وجود القائد القادر على التصدِّي لقيادة مَسيرة هذه الدَّولة العالميّة بما يَمتلكه من قابليات ومَلَكات عالية جدًّا، وقد تصدَّى التَّخطيطُ الإلهيُّ المُحكَمُ والمُتقَنُ لحفظ هذا القائد وادِّخاره وتَغييبِه لحين تحقُّق الشَّرائط الأخرى.

الفصل الثاني:
العوامل التفعيليّة للفرج على مختلف المستويات

● المبحث الأول: عوامل التَّفعيل للفَرج على المُستوى الفرديّ

على المستوى الفرديِّ لا بدَّ للمؤمن أن يَمتلِكَ عدّةَ أمورٍ، تُمكِّنُه من أن يكون مُنتظِرًا حقيقيًّا وفاعلاً:

1. الوعي العقائدي العميقُ بالإمام المَهدي (عجَّل الله تعالى فرجَه)، بحيث يُؤمنُ به وبغَيبتِه وبظُهوره ودَولتِه العادلة وإنجازاته، ولا يَزيدُه طولُ الغياب إلا يَقينًا، فلا تُصيبُه الحيرةُ والشكُّ، ولا يَنفعِلُ بالادِّعاءات المُضادّة التي تُحاولُ زَعزعةَ إيمانِه بهذه القضيّة الحَقِّ، خصوصًا في عصر التقدُّم والتِّقنيّة، حيث كثرت الإشكالات المُتوجِّهة إلى الدِّين ومختلف قضاياه، ومنها القضيّةُ المَهدويّةُ، حيث تَحتكِمُ التَّجربةُ الأخلاقيّةُ الغَربيّةُ المعاصرة إلى منظورٍ برغماتيٍّ نَفعيٍّ يَعمل على تقويض الأخلاق الإنسانية، مع تفعيلِ الصِّراع على امتلاك قوالبِ التَّمركُزِ العالميِّ، فضلاً عن أنَّ هذه الهَجمةَ الغربيّة مَدعومةٌ بنظريّاتٍ في اللاهوت السِّياسيِّ والأخلاقي.
2. (فرنسيس فوكوياما) ونهاية التَّاريخ: يُمكِنُ أن يُشكِّلَ (فرنسيس فوكويوما) فاتحةً لهذا المَسار، ففي أواخر سنة 1989م نشر فوكوياما مقالاً تحت عنوان «نهاية التَّاريخ»، طرحَ فيه عدّةَ رُؤًى أهمُّها:
   - إنَّ البشريّة قد وصلَت إلى ذروة تطوُّرها الحضاري، ونهاية مسار التكامُل العلميِّ والتِّقنيّ، بحيث أصبح البشرُ قادرينَ على حلِّ جميع المشاكل الصَّغيرة والكبيرة التي تَعترضهم،

وهذه الفكرةُ استثمرَها كثيرونَ في القرن الحادي والعشرين أيضًا، خصوصًا مع تبلوُر فكرة الذَّكاء الصِّناعيِّ، وتطوُّر صناعة الرُّوبوتات التي أصبحَت قادرةً على فعل أيِّ شيء، بحيث قد تَستغني الشَّركاتُ الكبرى عن اليد العاملة البشريّة في المستقبل القريب، فأيُّ حاجة بعدُ للدِّين وقد وصل العلمُ إلى ما وصل إليه، فضلاً عن فكرة المُخلِّص وما يَرتبط بها.

- إنَّ التَّاريخَ قد وصل إلى نهاية خطِّ التطوُّر الأيديولوجيِّ في نظريّات الحُكم وتَطبيقاتها، بحيث تُشكِّلُ الدِّيمقراطيةُ الغربية النَّموذجَ الأمثل والنِّهائيَّ في هذا المجال، بل قد نصل إلى مرحلة تَنتفي الحاجة للدَّولة أصلاً مع العَولمة والثَّقافة العالمية المُتجانسة، كما يُركِّز فوكوياما على أنَّ الخطر المحتمل يأتي من الأديان والقوميّات، وبالتَّحديد من الإسلام، إذ ما زال المسلمونَ، وخاصّةً المُتديِّنونَ منهم، يَعتبرون أنَّ الإسلامَ هو الحلُّ، وأنَّ الإسلام دينٌ يَعدُّ الدَّولةَ من أهمِّ أهدافه، حيث إنَّ العقيدة والثَّورة الفكريّة التي يُنادي بها الإسلامُ لا بدَّ لها من قوّة تَحميها، وهذه القوّةُ لا تُؤثِّر إلاّ إذا أشرفَت عليها دولةٌ ذاتُ منهاج وأنظمة، من هنا نَرى البعضَ قد حاول تشبيه الإسلام بالمسيحيّة، لجهة أنَّ الدِّينَ هو دعوة روحيّةٌ هدفُها هدايةُ البشريّة، وليس من وظيفة النبيِّ المُصلِحِ إقامةُ الدَّولة، وهذا القياس قياسٌ مع

الفارق، فالمسيحيّةُ التي لم تدعُ إلى تشكيل نظام سياسيٍّ يَحِقُّ لاتباعها أن يُطبِّقوا أيَّ نظام حكمٍ يُريدونه، أمّا الإسلام الغنيُّ بالتَّشريعات الإداريّة والجنائيّة فهو دينُ دولةٍ.

يَنقل (الشَّيخُ باقر شريف القرشي) في كتابه «النِّظام السياسيّ في الإسلام» قولاً لأحد الأساتذة الغربيِّين (فمبري) في معرض خطابه لأحد الأدباء الأتراك المسلمين قائلاً له: "إنَّ فِقهَكُم الإسلاميَّ واسعٌ جدًّا إلى درجة أنيِّ أقضي العجبَ كلَّما فكَّرتُ في أنَّكم لم تستنبطوا منه الأنظمةَ المُوافقةَ لزمانِكُم وبلادكم". وها هو المستشرق (مونتجمري وات) يَكتب كتاب «محمَّد في المدينة»، يُبرِزُ في هذا الكتاب كيفيّة إنشاء الدَّولة الاسلاميّة، وَفقًا لأحدث النَّظريّات في إنشاء الدُّوَل. أمَّا اليهود والمسيحيون فقد تخلَّوا عن دعوى إقامة دولة ثيوقراطية دينيّة، واتَّجهوا نحو العلمانيّة.

3. الوعي بالتَّحرُّكات الغربية في مواجهة الإسلام، المُستنِدةِ إلى عدّة وسائل، ومن بين هذه الوسائل:

- تَشويهُ الإسلام داخل المجتمعات الغربية، من خلال إظهاره بأنَّه دينُ التَّخلُّف والرَّجعيّة والعُنف والعمل على الإساءة إلى رموزهم، عبر استغلال بعض التَّصرُّفات الخاطئة عند بعض المسلمين، وإلصاقها بالإسلام والمسلمين كافّةً، وقد أدَّى هذا التَّشويهُ إلى انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلاموفوبيا)، وكذلك ظاهرة التَّمييز ضدَّ مسلمي الغرب، بحيث أقدمَت بعضُ الجامعات العريقة في فرنسا وغيرها من الدُّول الأوروبيّة،

التي تدَّعي المساواة والحفاظ على حقوق الإنسان، على منع المُسلمات من ارتداء الحجاب، فضلاً عن الإساءات المُتكرِّرة للنبيِّ (ص) في الصُّحف الأوروبيّة، كديرشبيغل الألمانيّة، وشارلي إيبدو الفرنسيّة، وصولاً إلى قضايا حرق القرآن في السويد بحمايةٍ من الشُّرطة المَحليّة، كلُّ ذلك بهدف استفزاز المسلمين ومشاعرِهم، وهذا السُّلوكُ يُشكِّل جزءًا لا يتجزّأ ممّا يَدور في العقلية الغربية.

- شنُّ الحروب الخشنة على بلدان إسلامية، كما حصل في غزو العراق من قِبَلِ أميركا، والحرب على أفغانستان، ونشر الفتنة في سوريا، وهذا الأمر أدَّى إلى سقوط مئات آلاف القَتلى، ثمّ تجويع الشَّعب السُّوري عبر قانون قيصر، وكذلك ما حصل في ليبيا، مُرورًا بتقسيم السودان وشرذمته، وصولاً إلى ما يجري في فلسطين عمومًا وغزّة خصوصًا من قتلٍ وتهجير لأهل الأرض الأصليِّين.
- تصدير الثَّقافة الغربية إلى المجتمعات الإسلامية، بالوسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والثَّقافية، عبر ما يُسمَّى بالحرب النَّاعمة، وهذا قد يكون السِّلاحَ الأخطرَ والأفتكَ، لأنَّه يَضرب من الدَّاخل ببطء، ولكنَّه سرعان ما يَقضي على القِيَم والأُسس والعادات والتقاليد التي تُؤمن بها المجتمعات الإسلاميّة، وصولاً إلى تحويلها إلى نسخة مَمجوجة عن المجتمعات الغربيّة وغير ذلك.

وبمجموع تلك الوسائل وغيرها استطاع الغربُ أن يَخلُقَ مظاهرَ الضَّعف والتَّفرقة في المجتمعات الإسلامية، وأصبحَ كثيرٌ من الأنظمة العربيّة تابعًا للغرب، حيث فقدوا الثِّقةَ بالله، وفقدوا الثِّقةَ بالنَّفس، وخسروا عواملَ التَّماسُك والقوة.

4. إنعكاس الإيمان العقائدي العميق على الرُّوحيّة والتَّطبيق العمليِّ:

إنَّ هذا الإيمانَ العقائديَّ المتأصِّلَ والواعي لظروف عَصره، والمُتبصِّر بمؤامرات الأعداء، الجاهزَ لمواجهتها والصُّمود أمامَها، لا بدَّ أن يَنعكسَ على البُعدَين الرُّوحيِّ والعَمليِّ للشَّخصيّة المُنتظِرة، فيَزداد التَّلاحُم والالتحام الرُّوحي بالإمام (عج)، والتعلُّقُ الوجدانيُّ بالإمام؛ فيَسعى الفردُ منّا إلى أن يُعزِّزَ هذا الشُّعورَ ويُغذِّيَه بكلِّ ألوان الدُّعاء والمُناجاة، لكي يَشعُرَ المؤمنُ بلَوعة الفَقد وحرارة الوَجد على فراق إمامِ زمانِه، ويُردِّد صادقًا كلمات الأدعية فيَقرأ:

"عزيزٌ عليَّ أن أرى الخلقَ ولا تُرى، ولا أسمعُ لك حَسيسًا ولا نَجوى، عزيزٌ عليَّ أن تُحيطَ بك دُوني البَلوى، ولا يَنالُكَ منِّي ضَجيجٌ ولا شَكوى، بنَفسي أنتَ من مُغيَّبٍ لم يَخلُ منّا، بنَفسي أنتَ من نازحٍ ما نزحَ عَنّا، بنفسي أنتَ أمنية شائقٍ يتمنَّى، من مُؤمنٍ ومُؤمنة، ذكرًا فحَنَّا، بنَفسي أنتَ من عقيد عزٍّ لا يُسامى، هل من مُعينٍ فأُطيلَ معَه العَويل والبكاء؟ هل من جَزوعٍ فأساعِدَ جزعَه إذا خَلا؟ هل قَذيَتْ عينٌ فساعدَتْها عَيني على القَذى؟" وهو يَعيش معنى كلِّ لفظٍ من هذه الألفاظ المُؤثِّرة.

إنَّ هذَين العُنصرَين، أي البناء العَقائدي العميق والمُتبصِّر واللُّحمة

والإنجـذاب الرُّوحيَّينِ، لا بدَّ أن يُسـتتبَعا بالعنصر الثالث الأهمِّ والمُكمِّل لهما، بحيث تُشكِّل هذه العناصرُ الثَّلاثةُ معًا الشَّخصيّةَ الإيمانيّة والرِّساليّة التي يُريدُها منّا الإمامُ، وهو الالتزامُ العمليُّ بكلِّ ما تمَّ الاعتقادُ به، فيكون الفردُ من الذين يَعقِلونَ فعلاً، ويَسـلكُ سـبيلَ الذين يَعلمون أنَّ الشَّخصية السَّـويّةَ هي التي يَتلاءَمُ سـلوكُها ومواقفُها العمليّة مع محتواها الدَّاخليِّ، المُتمثِّل في الأفكار والعواطف، وهذا هو الامتحانُ الأصعبُ.

فالتَّنظـير سـهلٌ على مختلف المُسـتويات، لكنَّ انعكاسَ هـذه التَّنظير على التَّطبيق والمُمارَسـة هو المحكُّ، فمن تكون سيرتُه الحياتيّةُ والعمليّةُ مُجسِّـدةً لأفكاره ومشـاعره يَنعكس ذلك بشـكلٍ مباشرٍ في ترسـيخ حالةِ تـوازُن في الشَّـخصية، وبُعدٍ عن كلِّ أنحاء الازدواجيـةً والانفصام والرِّياء والنِّفـاقِ والمراء والجِدال وغيرها من الصِّفات الذَّميمة التي يَنشـأُ بعضُها مـن بعضٍ، وأمَّا مَن تكـون أفكارُه في وادٍ وتصرُّفاتُه في وادٍ آخرَ فهو يَعيش حالةً مَرَضِيّةً، ولن يَدوم تأثيرٌ لأقواله على مُخاطَبيه، إذ سرعان ما يَكتشفونَ هـذه الازدواجيّةَ، وقد نبَّه القرآنُ الكريم على خطورة هذه الظَّاهرة، قالَ اللَّهُ تَعَـالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ◉ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: 3].

وكذلك نبَّهَت الرِّواياتُ الواردةُ عن أهل البيت (عليهم السـلام)، كما في قول الإمام الصَّادق عليه السلام: "كُونُوا دُعاةً للنَّاسِ بغَير ألسـنتِكُم، لِيَرَوا مِنكُمُ الـوَرَعَ والاجتهادَ والصَّلاةَ والخَيرَ، فإنَّ ذلـكَ داعيةٌ"[1]، ويُروى عن الإمام

1 - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج2، ص 78، ح 14 وح 9.

عليٍّ (ع) في غُرَرِ الحِكَم: "إنَّ الوَعظَ الذي لا يَمَجُّهُ سَمعٌ، ولا يَعدِلُه نَفعٌ، ما سكتَ عنه لسانُ القَولِ، ونطقَ به لسانُ الفعل"[1].

فلا معنى لِمُؤمنٍ يدَّعي ارتباطَه بالمَهديِّ الذي يُطبِّقُ الإسلامَ تَطبيقًا عالميًّا شاملاً، وهو يَنأى بنفسه عن هذا التَّطبيق، من هنا نجد حرصَ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على تكريس هذا الفَهم الحقيقيِّ للتَّشيُّع، ومحاربة الفَهم الخاطئ للتَّشيُّع، الذي حاول البعضُ أن يُبرِّرَ تَقصيرَه في أداء التَّكاليف به، وهذا الاتِّجاهُ له جذور ضاربة في التشكُّل العقائديِّ الأوّل لدى المسلمينَ، فيما عُرف بفكر الإرجاء، وسُمِّيَت الفرقةُ التي تَنتحِلُه وتُروِّجُ له بالمُرجئة، حيث كانوا يَقولون: "الإيمانُ قَوْلٌ بلا عَمَل، فهم قدَّمُوا القَوْلَ وأَرْجَؤُوا العملَ، أَيْ أَخَّروهُ، لأنَّهم يَرَونَ أَنَّهم لو لم يُصَلُّوا ولم يَصُومُوا لنَجَّاهُم إيمانُهُم تحتَ شعارات برّاقة كهذا الشِّعار: «لا تضرُّ مع الإيمان معصيةٌ، ولا تَنفعُ مع الكُفر طاعةٌ»، فهذا الفِكرُ يَصبُّ جامَ تركيزه على الجانبِ القلبيِّ والعاطفي، وإن لم يَنعكس على الجانب العمليِّ.

ونَرى أنَّ هناكَ مَن حاولَ تَطبيقَ هذا المَفهوم الخاطئ على التشيُّع، مُروِّجًا لمَقولات باطلة مثل: "حُبُّ عليٍّ حسنةٌ لا تضرُّ معَها سيِّئةٌ". ولخطورة مثلِ هذه التوجُّهات نَرى التَّحذيرات الشَّديدة والمُتعدِّدة من أهل البيت (عليهم السلام) منها، فقد ورد حديث مُميَّز يَرويه جابر الجعفيُّ يُبيِّن فيه الإمام الباقرُ بوضوح هذا المُعطى، ويُركِّزُ عليهِ أيمَّا تَركيز: "يا جابرُ أيَكتفي مَن

1 - التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص 231، ح 162.

يَنتحِلُ التَّشـيُّعَ أن يَقولَ بحُبِّنا أهلَ البيتِ؟! فو الله ما شـيعتُنا إلا مَن اتَّقَى اللهَ وأطاعَه، وما كانوا يُعرَفونَ إلا بالتَّواضعِ والتَّخشُّع، وأداء الأمانة، وكثرة ذكر الله، والصَّوم والصَّلاة والـبرِّ بالوالدَين، والتَّعهُّد للجيران من الفقراء، وأهل المَسكنة، والغارمين والأيتام، وصِدقِ الحَديث وتلاوة القرآن، وكفِّ الألسنِ عن النَّاسِ إلا من خَيرٍ. قال جابر: يا ابنَ رسولِ الله ما نعرفُ أحدًا بهـذه الصِّفة. فقال: يا جابـرُ لا تَذهبَنَّ بكَ المَذاهبُ، أحسـبَ الرَّجلُ أنْ يَقـولَ: أُحِبُّ عليًّا صلواتُ اللـه عليه وأتوَلَّاهُ، فلو قال: إنيِّ أُحِبُّ رسـولَ اللـه صلَّى الله عليه وآله، ورسـولُ اللـه خيرٌ من عليٍّ، ثمّ لا يَتَّبِعُ سـيرتَه، ولا يَعملُ بسـنّتِه، ما نَفعَه حبُّه إيّاه شيئًا، فاتَّقوا الله، واعملوا لِما عندَ الله، ليـس بينَ الله وبينَ أحدٍ قرابةٌ، أحَبُّ العِبـاد إلى الله وأكرمُهُم عليه أتقاهُم لـه وأعمَلُهُم، مَن كان للهِ مُطيعًـا فهو لنا وَلِيٌّ، ومَن كان لله عاصيًا فهو لنا عدوٌّ، لا تُنالُ ولايتُنا إلا بالعَملِ والوَرَعِ"[1].

● المبحث الثاني: العوامل التَّفعيليّة على المستوى الجماعي

قبلَ الحديث عن هذه العوامل لا بدَّ من طرح إشكاليّةٍ طرحَها (الشَّهيدُ مطهّري) و(الشَّهيد الصَّدر) وغيرُهما، وهي أنَّ الأصالة للفرد أو للمجتمع أو لكليهما:

1 - أصالة الفرد أم أصاالة المجتمع:

تنوَّعَـتِ الاتِّجاهاتُ والآراء في المدارس المختلفة في الاجتماع والتاريخ الإنسـاني في التَّركيز على الفرد أو على المجتمع، في دراسـة حركة التاريخ

1 - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج 2، ص 74، ح 3.

والحاضر والمستقبل، تأثيراً وتأثُّرًا، ففيما تُركِّزُ بعضُ النَّظريّات على أصالة الفرد، وتَعتبرُ أنَّ المجتمع ليس مُركَّبًا حقيقيًّا، بل هو مركَّبٌ اعتباريٌّ كالمركبات الطبيعيّة، فلا تتبادلُ عناصرُه التأثير والتأثُّر؛ فلا يكون للمجتمع بناءً على ذلك قانونٌ ولا سنّةٌ ولا مصيرٌ ولا دراسةٌ مستقلّة، وتَذهب أُخرى إلى أصالة الفَرد أيضًا وكون المجتمع مُركَّبًا بالتَّركيب الآليِّ نظير الرَّابطة الفيزيائيّة في المُخترعات الصِّناعية أو الآليّة، وثالثةٌ إلى القول بأصالة المُجتمع، فهو مُركَّبٌ حقيقيٌّ فوقَ المُركَّبات الطَّبيعيّة، فالأجزاءُ في المُركَّبات الطَّبيعيّة لها ذواتٌ وآثارٌ حقيقية قبلَ التَّركيب، لكنَّ الفردَ قبل الانطواء في المُجتمع ليسَت له هويّةٌ إنسانيّة، بل هو استعدادٌ مَحضٌ له قابلية التلبُّس بالرُّوح الجَماعية، فهو إنسانٌ بالقوّة، ولا تَبرُزُ إنسانيّتُه، أي أحاسيسُه ومُيولُه وأفكارُه وعقائدُه وعواطفُه، إلَّا تحتَ إشعاع الرُّوح الجماعيّة.

والنَّظريّةُ الإسلاميّة في هذا المَجال لا تأخذُ بكلِّ نَظريّةٍ على حِدة، بل تقومُ بالتَّوفيق بينَها عبر القول بالأصالتَين معًا، فلقد أكَّدَ القرآنُ على الرُّوح الجماعية والمَسؤولية المُجتمعيّة، ومن هنا كان الحديث عن عذاب الأُمّة وأجلِ الأُمم، ومَصير الأُمم، وعقاب الأُمم، وليس ذلك إلا لأنَّ للمجتمع والأُمّة روحًا واحدة، تُصحِّحُ هذه المسؤوليّةَ وتُسوِّغُ هذه التَّوصيفات، فالقرآن يُؤيِّدُ وُجودَ نَوعٍ من الحياة للمجتمع هي الحياة الاجتماعية، وذلك ليس مُجرَّدَ تمَثيلٍ أو استعارة، بل هى حقيقةٌ واقعية، كما أنَّ الموتَ الاجتماعيَّ حقيقةٌ بدورِه واقعيّة[1].

1 - راجع: مرتضى مطهري: المجتمع والتاريخ.

قَالَ اللَّـهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۞ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ [الحجر: 4-5].

قَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34].

من هنا وأمام الدَّور المفصليِّ والأساسيِّ الذي تُعطيه الرُّؤيةُ الإسلاميّة بشكلٍ عامٍّ، والقرآن بشكلٍ خاصٍّ، للرُّوح الجماعيّة وللأمّة المُتشكِّلة من الأفراد، يترتَّبُ على ذلك الدَّور مَسؤوليّاتٌ بحَجمه، خصوصًا مع ملاحظة بُعدٍ آخرَ أشار إليه القرآن الكريم، وهو فكرة القانون التاريخيِّ أو السُّنَنِ التاريخيّة، ففي ضوء هذا المفهوم القرآنيِّ لم يَعُدِ التَّاريخُ تراكمًا عشوائيًّا للأحداث، بل مسارٌ يَمشي ويَتكامل وَفق قوانينَ وسُنَنٍ حاكمة.

قَالَ اللَّهُ -جَلَّ وعَلَا-: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا﴾ [الأحزاب:62].

وقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلا﴾ [فاطر: 43].

وكما أشار القرآنُ إلى هذه السُّنن كذلك ركَّزَ على أهميَّة الاقتداء بها، والاعتبار بمُجرَياتها، قَالَ اللَّهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:26].

وقَالَ اللَّهُ جَلَّ وعَلَا: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران:137].

2 - القوانين التي أشار إليها القرآنُ الكريم:

وهــي القوانين المتعلِّقةُ بالحضارات والأُمم، ويمُكِنُ الإشــارة باختصار إلى أهمِّ هذه القَوانين، وهي:

أ. قانون الآجال المؤقَّتة: فلِكُلِّ أمةٍ أجلٌ، وكلُّ أمةٍ تَصعد إلى القِمّة ثمَّ لا تَلبثُ أن تَنهارَ.

قَالَ اللَّهُ سُــبْحَانَهُ: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِــذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَــمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْــتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [النحل: 61].

ب. قانــون الخلاف والاختلاف: حيث يُشــكِّلُ فطرةً بشريّةً للخَلق، ومِن سُبُل التَّنافُس الشَّريف نحو النُّموِّ والتقدُّم.

قَالَ سُــبْحَانَهُ: ﴿**وَلَوْ شَــاءَ رَبُّكَ لَجَعَــلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِــدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ [هود: 118]

ج. قانــون الدَّرجــات والتَّســخير: حيث فــرَّقَ اللهُ بــينَ البشرِ في الدَّرجات في نَواحي الحياة المُختلفة، وســخَّرَ بعضَهم لخدمة بعض.

قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [الزخرف: 32].

د. قانــون العذاب: فلكلِّ أمّة أجلٌ يُوقِــفُ عطاءَها، وتكون نهايتُها عندَه، وهذه النِّهايةُ تَرجعُ إلى مُسبِّبات مُتعدِّدة كالنَّخر الدَّاخلي، أو الضَّغط الخارجــي، أو العوامل الطَّبيعية، وقد دلَّتْ على هذا

القانون آياتٌ عديدة.

قَالَ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 174].

ه. قانون المُترَفينَ والأكابر: هو من أهمِّ الأسباب الدَّاخلية التي تُؤدِّي إلى عذاب الأُمم.

قَالَ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ-: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16].

و. قانون البَطَر: فالبَطَرُ هو التَّرفُ الشَّخصيُّ أو الجَماعيُّ المَصحوبُ بمَنعِ النَّاسِ لحُقوقِهم، قد أدَّى إلى انتهاء الحضارات الكبيرة في التاريخ.

قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 58].

ز. قانون التَّدافُع: بينَ الأُمم عبرَ تَسليط قومٍ على قومٍ آخَرينَ، للتَّذكير والامتحان أو الإزالة عندَ الاستحقاق.

قَالَ اللَّهُ -جَلَّ وعَلَا-: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:251].

إلّا أنَّ القانونَ الأبرزَ والأخطرَ في هذا المجال يَبقى قانون الاستبدال، وخلاصتُهُ أنَّ الإسلام يَحملهُ مَن كانَ أهلاً له، ويُعطيه من وَقته وجهده، وليس حِكرًا على أحد، وهذا ما حصلَ تاريخيًّا، حيث تمَّ استبدالُ العربِ

بالعَجم حينَما تخلَّفوا عن نُصرة الإسلام، فأعاد العجمُ عِزَّ الأمّة، إنَّ القرآن يُشـير إلى حقيقة قطعيّة في هذا المجال، وهي أنَّ الأجيال التي لا تتحمَّل مَسؤولياتها التَّاريخيّة في صون الأمانة وحفظ الأهداف الإلهية في التاريخ لن تقفَ في النِّهاية حائلاً دون بلوغ ذلك، فإنَّ اللهَ يَستبدِلُهُم بغَيرِهم ولا يكونُ البُدلاءُ مثلَهُم[1].

قَالَ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: 54].

وقَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿**هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ [محمد: 38].

انطلاقًا من هذه الرُّؤية الإسلاميّة، ومن هذه القوانين الحاكمة على التاريخ، والتـي تُريد أن تَجعلَ الأمّةَ في حالة اسـتنفار دائمـة وقُصوى، وتحثُّها على السَّـعي والتَّكامل، وتحذِّرُها من البَطر والاسـتغراق في الرَّذائل والظُّلم، بل وتُنشِئُ لها قوانين تَحفيزيّة ومُشجِّعة على التَّغيير وتحمُّل المَسؤوليّة، كقانون حتميّـة انتصار الحقِّ وظهوره على الباطل، قَالَ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ-: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**﴾ [الأنفال: 7]، وقانون

1 - راجع: خالد فائق العبيدي: القوانين القرآنية للحضارات.

التَّـلازم بين العـدل في التَّوزيع والتقدُّم الاقتصادي، حيـث أكَّد القرآنُ على أنَّ تطبيـق نظام العدل والصَّلاح يَنتج عنه الرَّفـاهُ المَعيشيُّ، ونزولُ الخيرات وبركات السَّـماء، قَالَ -جَلَّ في عُلاه-: ﴿**وَلَـوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَـا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة:66].

وقَالَ -جَلَّ في عُلاه-: ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْـتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾ [الجن:16] وصولاً إلى الوعد الإلهيِّ الحتميِّ بأنَّ العاقبة ستكون للمُتَّقـينَ، وأنَّ الأرض يَرِثُهـا الصَّالحونَ والمُسـتضعَفونَ، قَـالَ اللَّهُ -جَلَّ وعَلاَ-: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَـا اسْـتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّـنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَـضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُـمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًـا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النّور: 55].

3 -الوظائف المُلقاة على عاتق المجتمع:

أ. تكوين مجتمع الأنصار كمًّا وكيفًا: لَطالَما قرعَ أسـماعَنا أهميّةُ الإعداد لنُصرة الإمام (عج) أو قادة جَيشه، ولَطالما رفعْنا الأيدي داعينَ لأن نكون من أنصار الإمام المَهديِّ، ولَطالما كذلك ردَّدنا في دعاء العَهد "اللَّهمَّ اجعَلْني من أنصاره، وفي زيارة آل ياسـين "ونُـصرتي لكـم مُعَـدّة"، إلّا أنَّ هذا الكلام لا معنى لـه إنْ بَقِي مجـرَّدَ عبارت وألفاظ نُردِّدُهـا اعتيادًا أو في أوقات الصُّعوبات، ومن هنا فالنُّصرةُ لها مُسـتلزَماتٌ عمليّـةٌ لا بُدَّ من تَوفيرها لكي نكـون فعلاً من الأنصار، فإنْ كُنّـا صادقينَ في أدعيتِنا فلا بدَّ أن

نلتمس الصِّفات في أنفسنا؛ فمسؤوليّةُ الأُمّة الأساسية تُجاهَ إمامها أن تُفرزَ هذا الجيشَ أو هذه العدّةَ من الخُلَّص، وأن تعمل على تحليتهم بالخصائص التي تُؤهِّلُهم أن يكونوا من هذه الطَّليعة الحائزة على الدَّرجات العالية من الكمالات المعنوية، وقد أشارَت الرِّواياتُ إلى عدد من الصِّفات الأساسيّة التي لا بدَّ أن تَسعى الأمّةُ لتملُّكها وأهمُّها:

- الذَّوبانُ الكاملُ في حبِّ الإمامِ المهديِّ وعشقه، والشَّوقُ الدَّائمُ للتشرُّف برؤيته ونُصرته، وهوَ حبٌّ كبيرٌ وشوقٌ عظيمٌ نابعٌ من معرفة عظمة الإمام وعظمة الدَّور الذي سيَقومُ به؛ فالمعرفة أساسُ العمل، ولا طاعةَ ولا عبادة دون معرفة.
- الإخلاصُ الكامل للإمام (عج) وقوّة الإيمان: فعَن الإمام الجواد عليه السلام: "يَنتظرُ خروجَهُ المُخلصونَ"، وعنه أيضًا: "فإذا اجتمعَت له هذه العُدَّةُ من أهل الإخلاص أظهَرَ اللهُ إمرتَهُ"[1].

كذلك نجد الإمامَ الصَّادق عليه السلام في روايةٍ لطيفة يَربط بين قوّة الإيمان وصدق الجهاد والنُّصرة، باعتبار أنَّ الإيمانَ هو المحرّكُ الأوّل للإنسان، والدَّافعُ له نحوَ الجدِّ والعمل، فإنَّ مَن يؤمنُ بقضيّة ويعتقدُ بأهمّيّتها يتفاعلُ معها ويكونُ مُستعدًّا للتَّضحية في سبيلها، ولذا مَن يُريدُ أن يكونَ مِن أنصار الإمام المَهديِّ فعَليه ألّا يجعلَ الإيمانَ مُجرَّدَ شعارٍ وهويّة، بل

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 283، ح 10.

يجــبُ أن يتقَمَّصَه ويتلبَّسَ به " رجالٌ كأنَّ قلوبَهم زُبَرُ الحديدِ، لا يَشــوبُها شكٌّ في ذاتِ الله، لو حَملوا على الجبالِ لأزالوها"[1].

- كثرةُ العبادة: إنَّ العبادةَ ليسَت مُجرَّدَ طقوسٍ فارغة، بل هيَ منهجٌ تربويٌّ متكامل، تَبني الإنسانَ وتُزكيِّ نفسَه، وتُطهِّرُها منَ الشــوائبِ والأدران، فينفتح قلبُ الإنســان على الغَيبِ ويتَّصــل باللــه، فتصغــرُ الدُّنيا في عينه، وتكــبرُ الآخرة في نفســه، فهُم المصداقُ الأكملُ والتجسُّدُ الأعظم للمُتَّقينَ، "عَظُمَ الخالقُ في أنفســهم فصَغُــرَ ما دونَه في أعيُنهم، فهُم والجنّةُ كمَن قد رآهــا، فهم فيما مُنعَّمونَ، وهم والنَّارُ كمَن قد رآها فهــم فيها مُعذَّبــونَ، قلوبُهم مَحزونــةٌ، وشُرورُهم مأمونة، أجســادُهُم نَحيفــةٌ، وحاجاتُهُم خفيفة، وأنفسُــهم عَفيفة".

إنَّ كثرةَ العبادة هي التي تُنتِجُ الصِّفةَ الرَّابعة والمَركزيّة من صفات الأنصار، وهي الشَّــجاعةُ والإقدام وقوّة الشَّــكيمة، حيث يربطُ الإمــامُ الصادقُ بينَ العبادةِ والشَّــجاعة في وصفه لأنصارِ الإمامِ المهديِّ، فهم رُهبانُ اللَّيلِ في العبادة، ســمتُهم الذِّلّةُ والخضوعُ بحضرةِ المَولى العظيم سبحانَه وتعالى، لكنَّهــم ليوثُ النَّهار في الحربِ والجهاد في ســبيلِ الله، ونُصرة وَليِّه الذي ادَّخرَه لنُصرةِ دينه، وما كانوا ليَكونوا كذلكَ لولا كثرةُ عبادتهم، التي وطَّدَت علاقتَهُم بربِّهِم، فاستمدُّوا منه العزمَ والصَّبرَ والتَّضحيةَ والجهادَ.

1 - م. ن، ص 308، ح 82

- تمنِّي الشَّـهادة بينَ يدَيـه: وهي صفةٌ عظيمـةٌ من صفات أنصـاره، كما قـالَ الإمامُ الصّـادق في وصفهـم: "يَدعونَ بالشَّـهادة، ويتمنَّونَ أن يُقتَلوا في سـبيل الله..."[1]، لذلكَ يَنبغـي لمَن يُريدُ أن يكـونَ من أنصاره، عجَّـلَ اللهُ فرجَه، أن يكونَ مُستأنسًـا بالموت، وهذا ما لا يُمكِنُ أن يكونَ ما لم يُهيِّئ الإنسـانُ نفسَه ليكونَ باذلاً في فداءِ إمامِه مُهجتَه، راغبًا في لقاءِ ربِّه، مُوطِّنًا على لقاء الله نفسَه.

إنَّ هذه الصِّفاتِ ليست بالصِّفاتِ السَّهلِ تَحقيقُها، من هنا نجد الرِّواياتِ تُشير إلى ذلك: "عن أبي عبد الله عليه السلام، إنَّه دخلَ عليه أحدُ أصحابِه فقـالَ له: جُعلتُ فـداكَ، إنيِّ واللهِ أُحبُّكَ وأُحبُّ مَن يُحبُّكَ يا سـيِّدي، ما أكثرَ شـيعتَكُم، فقال له: اذكُرْهُـم، فقال: كثيرٌ، فقال: تُحصيهم؟ فقال: هم أكـثرُ من ذلك، فقال أبو عبد اللـه: أمَا لَو كملَت العدّةُ الموصوفةُ ثلاثمائة وبضعةَ عشرَ كان الذي تُريدون، ولكنَّ شـيعتَنا مَن لا يَعدو صوتُه سـمعَه، ولا شَحناؤُه بدنَه. (إلى أن سألَ) فكيفَ أصنعُ بهذِه الشِّيعة المُختلفةِ الذين يَقولـون إنَّهم يتشـيَّعون؟ فقال: فيهـم التَّمييز، وفيهـم التَّمحيص، وفيهم التَّبديل، يأتي عليهم سـنونَ تُفنيهم، وسـيفٌ يَقتلُهُم، واختـلافٌ يُبدِّدُهم، إنَّما شـيعتُنا...مَن لا يَطمع طمعَ الغُرابِ، ولا يسأل النَّاسَ بكفِّه وإن ماتَ جوعًا.

قلـتُ: جُعلتُ فداكَ، فأينَ أطلبُ هؤلاء المُوصَّفـينَ بهذه الصِّفة؟ فقال

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 308، ح 82.

اطلُبْهــم في أطــراف الأرض، أولئك الخَفيضُ عيشُــهُم، المُنتقلــةُ دارُهُم، الذين إن شَهِدوا لم يُعرَفوا، وإن غابوا لم يُفتَقَدوا، وإن مَرِضُوا لم يُعادوا"[1].

ب- نــشرَ الفكــر المَهــدويِّ وصَبغُــه بالصِّبغــة العالَمية: إنَّ نــشرَ فكرةِ المُخلِّص الأُمميِّ، الذي سيُخلِّصُ البشريّةَ المُتعَبةَ من مشاكلها المُتأصِّلة، ويَعيــش معها آلامَهــا وآمالَها، وتعريف المجتمعــات المختلفة والثَّقافات المُتنوِّعــة بمشروع الإمام المهدي (عج)، لإنقــاذ العالم وقيادته نحو حياة جديدة مليئة بالسَّــعادة والرفاهيّة لجميع البــشر، هو من واجب المُنتظِرينَ المُخلصــين. وفي الدَّولــة المَهدويّــة المَوعودة لا مكانَ للظُّلم والتســلُّط والإكــراه وهضم الحقوق والتَّمييز العنــصري والعِرقي والتَّفاوت الفاحش بين الناس كما يحصل الآن في زمن ســيطرة اللِّيبراليّة المُتوحّشة، إذ تُسيطِرُ قلّةٌ قليلة من النَّاس على معظم ثروات العالم، فيما يَعيش الآخرونَ في فقرٍ مُدقعٍ لا يَجدون ما يَسدُّونَ به رَمَقَهم، فبِقدر ما نستطيع أن نُحاكي تطلُّعات البشر المختلفة، ونلامسُ أوجاعَهم وهمومَهم، نكون قد استطعنا التَّرويجَ لهذا المشروع، وحشــدَ المُتطلِّعينَ له والمُمهِّديــنَ؛ فهذا الرَّواجُ شرطٌ من شروط نجاح المَهديِّ وجيشه، وتعاطُف النَّاس معَه ومع رسالته، ويحصل ذلك بالإفــادة من الميَل الفطريِّ للنَّاس المَغروس في وجدانهم نحو فكرةِ المُخلِّــص، واليــوم الموعود، حيث لم يَخلُ دينٌ مــن الأديان أو ثقافةٌ من ثقافات الشُّعوب من فكرة المُنقذ.

إنَّ كلَّ مشروعٍ تغييريٍّ هو بحاجةٍ ماسّــة وحثيثــة إلى بنية وقاعدة ثقافيّة

1 - النعماني: الغيبة، ص 209، ح 4.

تَقـوم بالتَّرويج والتَّبيين الواضح والحضـاريِّ للفكرة والمَشروع وأهدافه، والمنافع الكبيرة التي يَسـعى لتحقيقها بأسـلوب هادف عصريٍّ مُؤثِّر، من شأنه أن يَكسب للمشروع أنصارًا من أنحاء المَعمورة كافّةً، ويُوجد الأرضيّةَ المناسـبة للالتفاف العالمي حول القائم حين ظُهوره، خصوصًا في عصر العَولمة الثَّقافيّة والانتشار الكبير لوسائل التَّواصُل الاجتماعي.

كما لا بدَّ من العمل بطريقة توليديّة وتَرويجيّة للفكر المَهدويِّ، كذلك لا بدَّ من عدم إغفال البُعد الدِّفاعي في القضيّة، خصوصًا في عصر الشُّبهات والطُّروحات التي تُثار من كلِّ حدب وصوب، للتَّشكيك بالقضيّة المَهدويّة في مختلف أبعادها، عبر دفع كلِّ الشُّـبهات التي تُثار حول قضيّة المَهديِّ سـواء على أسـاس عقليٍّ أم نقليٍّ، فهذه الشُّـبهات المُتعـدِّدةُ تجد لها في الإعلام المُعادي كلَّ سُبل الدَّعم والتَّرويج.

وذلك يتمُّ على المسـتوى التَّطبيقيِّ، وليس فقط على المستوى النَّظريِّ، عبر إنشـاء مُؤسَّسـات إعلامية مُتخصِّصة في هذا المجـال، كالدَّوريات، والإذاعات، والفضائيـات، ومواقع الإنترنت، التي تُعرِّف بالإمام المَهديِّ، وتُبـيِّنُ أهدافَ نهضته ووسـائلَها، وتُوضِّح ضَرورتَهـا الحضارية وفوائدَها للنَّاس جميعًا، وتُعلِّمُ النَّاسَ سُـبلَ الارتبـاط به والانتفاع بوُجوده المبارك، وتكشـف عمَّا يُعانيه المَظلومونَ والمَحرومـونَ من اضطهاد وحِرمان، وما تُمارسُه مراكزُ القوى في العالم من بَطشٍ وقمعٍ وتَنكيلٍ بالمُستضعَفينَ.

لا بـدَّ أيضًا من التَّركيـز في هذا المَقام على فشـل كلِّ النُّظُم الحضاريّة والسياسـيّة، والنُّظم والأيديولوجيات الأخرى، التي حكمَت المجتمعات البشريّـةَ، من حكـم الرومـان والأثِّينيينَ وسـيطرة الكنيسـة، وصولاً إلى

الممالـك في أوروبـا، وكذلـك بعـض التَّطبيقـات الخاطئـة في الدَّائـرة الإسلاميّة، انتهاءً بالعصر الحاضر وبُزوغ الفكر الماركسيِّ ثمّ أُفوله السَّريع بعد انهيار الاتِّحاد السـوفييتي، واستبداله بالنَّموذج الرَّأسماليِّ الذي اتَّسَم بالسَّـيطرة والاسـتعمار ونَهب الثَّروات وتَعزيز التَّفـاوت الاجتماعي، إلى عصر الحداثـة وما بعد الحداثة والحداثة السّـائلة وغيرها مـن النَّظريّات المتَّسمة بالفَوضويّة واللامنهجيّة، حتّى تَقومَ الحجّةُ عليهم.

إنَّ فشـلَ هذه التَّجارب في تاريخ الإنسانية الطَّويل أدلُّ دليلٍ على كذبِ ادِّعاءات هذه النَّظريات؛ لأنَّ التَّجربة هي المحكُّ الأقوى في هذا الشـأن، ومـن جهة ثانيـة يُثبتُ هذا الفشـلُ ولو بطريقة سـلبية أنَّ العـدلَ المُطلَقَ مُنحصِرٌ في رسـالة الإسلام، وأنَّ الإسـلامَ هو الحلُّ وهو البديل المنطقيُّ والعـادل، بشرط أن يُطبَّق كـما هو بتشريعاته السّـامية والرائدة، ولا يكون هنـاك تفاوت بين النَّظريّة والتَّطبيق، ورد في الحديث: "ما يكون هذا الأمرُ حتَّـى لا يَبقى صِنفٌ مـن النَّاسِ إلا وقد وُلُّوا، حتّى لا يقـول قائلٌ: أمَا لو وُلِّينا لعَدلْنا، ثمَّ يَقوم القائمُ بالحقِّ والعدلِ.

إنَّ يأسَ النَّاس من كلِّ البرَامج الأُخرى، والأطروحات المادّية والوَضعية، يجعـلُ أملَهم يَنحصر في رسـالة الإسـلام كبديل حضاريٍّ شـاملٍ يَضمَنُ سـعادةَ الفردِ، فالكثير من المؤشِّرات تُدلِّلُ على عُمق الأزمة التي تَعيشُـها الرَّأسـماليّةُ، سـواء على الصَّعيد الاقتصـادي أم الاجتماعي أم الأخلاقي، خصوصًا مع ما يَشـهده الغربُ من سـقوطٍ وانحدار قِيَميٍّ هائل، وتفكُّكٍ أُسريٍّ واجتماعـيٍّ، مع انتشـار أفكار الجندر والتحوُّل الجنسي والشُّـذوذ الجنسي والتَّطرُّف في الفكر النسـويّ، فصَحيحٌ أنَّ الغربَ لديه مَكامِنُ قُوّةٍ

علميّة وتكنولوجيّة إلاّ أنَّ نقاط ضعفه ليست بقَليلية، وهي مُؤثِّرة وجَوهريّة تُؤدِّي إلى سقوط النَّموذج والمنظومة، فيَنبغي الإضاءة عليها ؛ فالهَيبة التي تَسكن في قلوب الكثيرينَ من أبناء الأُمّة الإسلامية تُجاه الغرب وتقدُّمه الكاسح وهيمنته السِّياسية لا تُلغي وجودَ ثغرات هائلة ستنكشفُ بالجهود العلميّة والثقافيّة، التي تَسدُّ القصورَ في معرفة الغربِ وعيوبه وخفاياهُ.

وهنا تَبرُزُ أهميّةُ دراسة الغرب ونقده وتطوير علم الاستغراب المَعنيِّ برصد الاهتزازات الداخلية لمنظومة الغرب وتداعياتها الخطيرة في المستقبل القريب، بالإضافة إلى محاربة الأفكار التَّغريبيّة والانبهاريّة بل والانبطاحيّة أمام الغرب وثقافته وحضارته المُزيَّفة وشعاراته البرّاقة التي سقطَت بأسرها فيما يَحدث في غزّةَ من قتلٍ وتدمير وتجويع، بل إبادة لشعبٍ بأكمله من دون أن تتحرَّك الدُّول الغربيّةُ وتُسيِّلَ شعارات حقوق الإنسانِ.

ج. إضفاء النَّسَق الحضاريِّ على القضيّة المَهدويّة عبر تَعريفها للحضارات الأخرى: لا شكَّ بأنَّنا نعيش فترةً حسّاسةً في تاريخ البشرية الفكريِّ، بما تَنطوي عليه من تحوُّلات ثقافية ونقاشات فكرية كُبرى، حيث حقَّق الغرب تقدُّمًا تقنيًّا هائلاً، استثمرَهُ في التَّنظير لأفكار كالحَداثة السّائلة لدى (زيغمونت باومان)، وقبلَه صراع الحضارات لـ (صامويل هانتغتون)، فالمُواجهةُ الأمثلُ لمثل هذه الأفكار تكمن في التَّنظير لحوار الحضارات وتكامُلِها وَفقَ نسقٍ معرفيٍّ متكامل، عبر التَّركيز على القواسم المشتركة بين الحضاراتِ المختلفة، وذلك يتمُّ عبر اعتماد أُطُرٍ وسياقات مختلفة:

لا بـدَّ أن تكون نقطـةُ الانطلاق من القـرآن الكريم، الذي أسَّـسَ لمبدأ تعارُف الحضارات، وإفادتها بعضها من بعضٍ، وليس للتَّصادم الحضاريِّ وللفَردانيّة والأفـكار النَّفعيّة والبراغماتيّة ونزعات هيمنة بعض الحضارات عـلى الأخرى، التي تُفضي إلى التَّصادُم الحضاريِّ، بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13].

فالأُمم والشُّـعوب والحضارا ت، مهما تنوَّعت وتوزَّعَت على مساحات الأرض، فهي مُطالَبة بتحقيق مبدأ التَّعارف، وهذا ما يُريدُه سبحانه وتعالى للإنسـانية، عبر السَّعي إلى تحيقق مستوًى رفيعٍ وراقٍ من العلاقات، وهذا يَسـتتبعُ معَه الانفتاحَ والتَّواصُلَ والحـوار، والذي من أبعادِه أن تتعرَّف كلُّ أمّـة وكلُّ حضارة على أفكار وثقافات وعقائـد الحضارات الأخرى، ومن أهـمِّ هذه الأفكار التي تَشـترك فيها كلُّ الأديان فكـرةُ المُخلِّص المَوعود، فقضيّةُ المُصلِـحِ العالميِّ أو المُخلِّص الأُمميِّ هي قضيّة إنسـانيّة قبل أن تكون دينيّة، هي عنوانٌ عامٌّ لطموحٍ مشروعٍ يتَّسم بالرُّقيِّ والسموِّ تتَّجه إليه البشريّةُ بمختلف أديانها ومذاهبها وانتماءاتها.

وهـذا يتطلَّبُ منّـا مهمةَ ومسـؤولية تَعريف وإيضاح حقيقـة المَهدوية ومركزيّتها ومحوريّتها للأُمم والشُّعوب الأخرى. فلا بدَّ أن يكون ما نطمح إليـه هـو أن نُوفَّقَ في أداء جزء من مسـؤولياتنا تُجاه الإمـام عليه السلام، فنُقدِّمَ ونُوضِّح ونُوصِل ونُعرِّف حقيقةَ مَهدويّة أهل البيت (عليهم السلام) إلى كلِّ الأمم والشُّعوب، وكلِّ الكيانات الاجتماعية والحضارية في العالم، خاصّةً أنَّ العـالم الغـربيَّ بل حتّى الشَّرقيَّ يَعيش أزمةَ وعـي وفهمٍ لأبعاد القضية

المَهدويــة ومقاصدهــا الكُبرى، فلا يَكفــي الاقتصارُ عــلى البُعد العقديِّ للقضيّــة، أو التَّركيز على جانب علائم الظُّهور مثلاً، بل يتحتَّم على الثَّقافة والرُّؤى المَهدوية التي تُطــرَح حاليًا أن تُواكبَ حركةَ المجتمعات البشرية والعَصر وتطوُّره، وحركة الأولويات والاحتياجات والرَّغبات الرَّاهنة وتطوُّر الفضاء الثقافيِّ العالمي.

إنَّ هذا التَّركيز على القواســم المشــتركة لا يَنبغي أن يُلغي ضرورةَ طرحِ مَفهومنا ورُؤيتنا في قضية المُخلِّص الرَّبانيِّ الموعود بكلِّ صراحةٍ ووُضوح، وألَّا تَغيب هويّتُنا الإسلاميةُ، والتَّمسُّكُ بالخصوصية الفكرية، والسَّعي إلى إيصال هذا الاختلاف وتَبيينه بطريقة منهجيّة وبرُؤية حضاريّة[1].

د. محاولــة التَّركيز في الدِّراســة المَهدويّة على المنهــج العقلي: عبر مقاربتهــا وَفقَ مبــدأ العدالة وعلى ضوء فلســفة التاريخ، باعتبارها قيمةً إنسانيّةً عُليا ومسألةً مصيريةً مُتعلِّقةً بمستقبل البشرية، فالبعض يَقصر البحــثَ في القضيــة المَهدوية على النُّصــوص والرِّوايات، ويُحــاولُ الدُّخــولَ دائمًــا في النِّقــاش الكلامــيِّ والبُعــد الجدليِّ للقضيّة، عبر التَّركيز على نقاط الاختلاف بين المذاهب الإسلاميّة، وهذا يُؤدِّي إلى أن تَغرقَ الأمّةُ في نزاعات كلاميَّة وطائفية لا تُوصِلُ إلى أيِّ نتيجــة، إلّا زيادة التَّــشرذُم والتَّفرقة بين أفــراد ومجتمعات الأمّة، وتزيد المسافةَ عن تحقيق المقاصد التي بُنِيَت عليها القضيّة المَهدويّة.

1 - راجع: مجتبى السادة: تعريف المهدوية للحضارات الأخرى، 1441هـ.

هـ. التَّركيز على التَّبيين للنّاس بأنَّ الهدفَ الأساسيَّ للمَهدوية هو نشر التَّوحيد والعدل في العالم كافّةً، عبر التَّغيير الشَّامل لأنظمة الظُّلم، فإنَّ تحقيـق الحدِّ الأدنى من إيمان الشُّـعوب المختلفة بالمَهدوية ومشروعها العالمي من أبرز مظاهر التَّمهيد للظُّهور، ويُؤدِّي بطبيعة الحـال إلى توسـيع قاعدته الشَّـعبية في كلِّ الأُمـم والحضارات، وازديـادِ عدد الأتبـاع والمُريدينَ الذين يَمتلكـون الرُّؤية الواضحة للأهـداف المَهدويـة والتَّغيير الجذري والشـامل الذي سـيُحقِّقُه الإمام عليه السلام في مسار تاريخ البشرية.

و. التَّركيز على نشر الوعي والبصيرة بمُخطَّطات الأعداء التآمُريّة على القضيّة المَهدويّـة، وهذه الحركات تارةً تتَّخذ طابعًا سياسـيًّا وتارةً أُخـرى طابعًا فكريًّا، عبر العمل على القضـاء على هذه الفكرة من جذورهـا في وجدان الأمـة، وتَحجيمها في إطـار مَذهبيٍّ خاصٍّ، والمواجهة الحقيقيّة لهذا النهج تكمن في أن نتحمَّل كلٌّ من موقعه مسؤوليّتَنا الحضاريّة المُتمثِّلة بنَشر الحقائق الأصيلة عن المَهدوية، وتعريـف الآخرين بها، والتَّرويج للمنظومة المعرفية المَهدويّة بكلِّ أبعادها وسياقاتها الحضاريّة.

ز. التَّركيـز على مبدأ الحاجة الفطرية للمُخلِّـص: كجزءٍ لا يتجزّأُ من الفطرة الدِّينيّة المُتجذِّرة في عُمق الإنسـان، حيث قد برزَ في المدّة الأَخـيرة كثيرٌ من التَّشـكيكات في فِطريّة الدِّين، مـع بروز الأفكار الإلحاديّـة المُتنوِّعـة، عـبر محاولة جعل الإلحـاد علمًا لـه رُوّادٌ وفرسـانٌ يَمتطون صهوتَـه، بل يَنبغي البحـثُ في هذا المجال عن

الحُجب التي غطَّت هذا المشعلَ الفِطريَّ، فقد أسرفَ الإنسانُ المُعاصرُ في الحياة الماديّة، وانغمسَ في منجزات الحضارة العلميّة، فصار جسدًا بلا روح، وعقلاً محضًا بلا ضمير، وضلَّ عن إنسانيّته الحقيقيّة، فالدِّين بشكلٍ عامٍّ وفكرةُ المُخلِّص بشكلٍ خاصّ تمُثِّلان حاجةً نفسيّةً واجتماعيَّةً متناسبة بل متطابقة مع طبيعة وفطرة الإنسان، وهي تَزداد إلحاحًا كلَّما انغمسَت البشريّةُ في مستنقعات الظُّلم والفساد والرَّذائل بمختلف أنواعها. فالعقل البشريُّ والنَّفس الإنسانية بفطرتها وطبيعتها تحنُّ إلى الفضيلة وتَتوق إليها، وتسعى إليها بكلِّ قواها ومُقدّراتها، فمُنذ نشأة الفلسفة، كتعبير عن محاولة استكمالٍ للنَّفس والوجود الإنساني، دعا الفلاسفةُ الأوائل كأفلاطون وأرسطو وأبو نصر الفارابي إلى تشكيل المدينة الفاضلة، فيما أصبحَ يُسمَّى في العصر الحديث بيوتوبيا المدينة الفاضلة، والرُّؤيةُ الإسلاميّة وإنْ اختلفت في بعض التفاصيل مع أفلاطون في جمهوريّته وأرسطو في سياسته إلاّ أنَّها تتَّفق معهم في كون السَّعي إلى المدينة الفاضلة هو ترجمةٌ وصدًى للإحساس الغريزيِّ المتُأصِّل لهذه الفكرة في عُمق النَّفس البشرية، الذي سيَبلغُ كمالَ تحقُّقه ومُنتهاهُ عندما تتحقَّق المدينةُ المَهدويّةُ الفاضلة.

ح. التَّركيز على البُعد العالمي في النَّهضة المَهدوية: فالدَّولةُ المَهدويّةُ ليسَت دولةً محدودةً في الإطار الجغرافيِّ الضيِّق، بل هي دولةٌ عالميّةٌ تَبسط هيمنتَها وسيطرتَها على جميع أنحاء

العالم بشكل لا توجد معَها أيّةُ حكومة أخرى، في أيِّ بقعةٍ من بقاع الأرض، فالإمام (عجَّل الله فرجَه) سيُغيِّرُ جميعَ الحكومات الظَّالمة الموجودة، ويَدمجُها تحت لواء حكومته العادلة، حيث شعوب العالم يَنظرون لأنفُسهم على أنَّهم أُسرةٌ إنسانية واحدة، تَجمعُها قِيَمُ الحقِّ والعدل والمساواة، التي تُشكِّلُ أهمَّ المَحاور في حياة الإنسان، بما يُعطي للإنسان أهمَّ مُعطًى يَسعى إليه في دُنياه، وهو الكرامة والقيمة الإنسانيّة.

إنَّ هذه الأبعادَ الثقافيّة التي تمَّ الإشارةُ إليها على أهميَّتها القُصوى لا بدَّ أن تتكامل مع بُعدٍ أساسيٍّ لا غِنى عنه في التَّشكُّل النِّهائيِّ لإرهاصات الدَّولة المَهدويّة، وهو الإعداد العسكريُّ والجهاديُّ وإفراز الأمّةِ لقياداتٍ وكوادرَ على مختلف المُستويات.

قَالَ -جَلَّ في عُلاه-: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: 60].

فلا بدَّ للأمّة أن تَصقُلَ نفسَها بالتَّجارب الجهاديّة والعَسكريّة، وتُنمِّي خبراتِها في هذا المجال؛ فالكفاءاتُ العالية لأنصار المَهديِّ وجنوده، التي تتحدَّثُ عنها الرِّواياتُ، ليست إلا نتيجةَ تراكمات تاريخية وتكامُلٍ حاصل على امتداد زمن الغَيبة، بحيث يَبلغ الوعيُ السِّياسيُّ والحسُّ الجهاديُّ والخبراتُ القيادية لأبناء الأُمّة المُستوى الذي يُؤهِّلُهم للمشاركة بهذا المشروع المَهدويِّ الضَّخم على مختلف الأصعدة والمستويات،

وقـد بدأت تتجلَّى ملامحُ هذا الإعداد العسـكريِّ والجهـاديِّ منذ انتصار الثـورة الإسـلاميّة المباركة في إيران، ونشـوء حـركات المقاومة في لبنان وسـوريا وفلسـطين والعراق، وأخيراً اليمن الصَّاعد بقوّة في هذا المجال، بحيث أصبحَ للدَّولـة المَهدويّة الموعودة محورٌ وجبهاتٌ تُحاربُ الهَيمنةَ والاسـتعمارَ، وتمُهِّـد للدَّولـة المَهدويّة المَوعـودة بقَرابينِ الـدَّمِ والبَذل والتَّضحية والعطاء.

الفصل الثالث:
الحكومة المَهدويّة: مبادئ النَّموذج وسياقاته

● المبحث الأول: ضرورات الدَّولة المَهدويّة وسياقاتها التَّاريخيّة

1 - وجود الدَّولة وقيام الحكومة أمرٌ لا بدَّ منه في الحياة البشرية:

بل هو من الضَّرورات الاجتماعيّة، باعتبار أنَّ المجتمع البشريَّ يتألَّف من أفراد تَحكمُهُم مَصالحُ وعلاقاتٌ مُتضاربةٌ وأذواقٌ ومَشاربُ شتَّى، بل بدون هذا الوجود سيكون المجتمع ناقصًا، وسرعان ما يَفقد بقاءَه ودَيمومتَه.

من هنا كانت فكرة الحكومة وتأسيسها من القضايا الأساسية التي أكَّد عليها أكابرُ الفلاسفة والمُفكِّرين قديمًا وحديثًا؛ فها هو (أرسطو) في السِّياسة[1] يقول: "إنَّ الدَّولةَ من عمل الطَّبع، والإنسانُ بالطَّبع كائنٌ اجتماعيٌّ"، وكذلك (أفلاطون) يَعتبر الدَّولةَ من الأمور الطَّبيعيّة التي لا غنى للنَّاس عنها[2]، إلى (ابن خلدون) الذي يَستدلُّ على ضرورة وجود الدَّولة بضرورة الاجتماع الإنسانيّ[3]، وهذا ما نجدُه لدى المُعاصرينَ كثَروَت بَدوي الذي يقول: "إنَّ أوَّلَ مقوّمات النِّظام السِّياسيِّ هو وجود الدَّولة، حتى إنَّ البعضَ يَربطُ بين مَدلول السِّياسة وفكرة الدَّولة، ولا يَعترفُ بصفة الجماعة السِّياسيّة بغَير الدَّولة"[4].

إنَّ المطالعة التاريخيّة العابرة تُرشِدُنا إلى بعض القائلين بعدمِ ضَرورة

---

1 - أرسطو: السياسة، ص96.

2 - أفلاطون: الجمهوريّة، ص14.

3 - ابن خلدون: مقدمة تاريخ ابن خلدون، ص.ص.41-42.

4 - ثروت بدوي: النظم السياسيّة، ص.ص.1-7.

وجود الحكومة، ولكنَّهم قِلّةٌ بالقياس إلى القائلين بها، (كسان سيمون)[1] المُعتقِد بقدرة العقل والفكر البشريِّ لوحده على توجيه المجتمع نحو الخلاص، لكنَّ الدِّراسات أثبتَتْ أنَّ هذا العقل البشري، بشِقِّه العمليِّ يُدركُ ضرورةَ وجود الحكومة انطلاقًا من طبيعة الإنسان الاجتماعية، ومَيله الطَّبعيِّ أو الضَّروري للمَدنيّة، أو كـ(كارل ماركس) ومُؤيِّديه المُعتقدين بالحاجة المُؤقَّتة للدَّولة أثناء معاناتِها من الصِّراع الطَّبقي، بحيث تَنتفي هذه الحاجة بعد استقرار الشُّيوعيّة، وزوال الفَوارق الاقتصادية، وهذا ناتجٌ عن النَّظرة الأحادية للماركسية وأتباعها، حيث تَقديسُ المادّةِ والاقتصاد، واعتبارهما منشأً لجميع الدَّوافع.

إنَّ النَّظرةَ التَّحليلية الصَّحيحة لدوافع الإنسان لا تَحصرها بالدَّوافع المادية، فلدى الإنسان دوافعُ أخلاقيّة وغرائزيّة لا بدَّ لتنظيمها من تأسيسٍ لدولة وإقامةٍ لحكومة، من هنا نجد أنَّ الإسلام تلقَّى أمرَ تشكيل الحكومة تلقِّيَ الضَّروريّات والفِطريّات الاجتماعيّة، فلم يَنتدب المسلمينَ لتشكيل الحكومة وتأسيس الدولة، ذلك لأنَّ المجتمعات، كما قال العلاّمة الطباطبائي في الميزان، تَبذل المساعيَ في سبيل "إلقاء زمام الأمّة إلى مَن يُدبِّرُ أمرَها؛ لأنَّ المُلكَ من الاعتبارات الضَّروريّة في الاجتماع الإنسانيِّ، لذلك لم يَدعُ القرآنُ النَّاسَ إلى الاجتماع على تأسيسِ المُلكِ وتَشييد بنيان

1 - سان سيمون: مؤسس مذهب السان سيمونيّة في الاقتصاد والسياسة، ولد في باريس1760، وتُوفيِّ فيها 1825 م، فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، يَدعو إلى إنشاء مجتمع صناعيٍّ إنتاجي، وإلى إخراج السلطات من أيدي رجال الدِّين إلى أيدي رجال الصِّناعة.

القَيصريــة والكسرويّة، عــلى اعتبار أنَّ ذلك مــن ضرورات الحياة ونوازع الفطــرة، وإنَّما دَعا النَّــاسَ إلى الاجتماع والاتِّحاد والاتِّفــاق على الدِّين، ونَهاهُم عن التفرُّق والشِّقاق فيه، وجعَلَهُ هو الأصلَ"[1].

2 - ضروريّة وفطريّة هذا المبدأ:

في الاجتماع الإنســانيِّ يُمكِنُ أن نضمَّ له مُقدِّمات فِطريّةً أخرى، كعلاقة حركــة الإمــام المَهــديِّ عليه السلام بمبــدأ الحتميّة الإلهيّــة وفلســفة التَّاريخ، والمقصودُ بالحَتميّة الإلهية البحثُ عن حلقة التَّغيير والتَّكوين الاجتماعيِّ في المجتمع الإنســانيِّ، بحيث يَصل إلى مســتوًى يُؤهِّل النَّوعَ الإنســانيَّ ليَكونَ أهلاً ومُســتحقًّا ليَحكُمَــه العدلُ المَهدويُّ؛ فإنَّ جميعَ الرِّســالات السَّــماوية قد اهتمَّت بتَربية البَشريّة من أجل ارتقائها إلى المســتوى الذي تتقبَّلُ به العقيدةَ المَهدويّةَ في المرحلة الأولى، وفي المرحلة الثانية تتعمَّق الحركةُ المَهدوية عندما يظهر الإمامُ عليه السلام، وعلى ذلك يمرُّ النَّوعُ الإنسانيُّ بمرحلتَــينِ تمَهيديَّتَينِ: مرحلــة العقيدة، ومرحلة إجــراء العقيدة وتنفيذها وتَسييلها على أرض الواقع.

أمّا المقصودُ بفلســفة التاريخ فعرَّفَها (دوركهايم) بأنَّها: "البحثُ في تحديد الاتِّجاه العامِّ لتَطوُّر الإنسانية وإيجاد قانونٍ لحركة الحياة البشرية في خطوط دائرية أو مســتقيمة". فالغايةُ من دراســة فلســفة التاريخ الوصولُ إلى معرفة الجامــع للأحداث والحضارات وتحليلها، ومعرفة قوانينها وسُــننها، وقد مرَّ في بعض مباحث الكتاب التَّنظير للتأصيل الدِّينيِّ والسُّنَنيِّ التَّاريخي القرآني.

1 - راجع: محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج3، ص.ص.144-149.

ولا بدَّ من الإشارة في هذا المَقام إلى أنَّه كما أنَّ التاريخ الدِّينيَّ يُنظَر إليه من خلال علم التَّاريخ وفلسفته، كذلك العقيدة المَهدوية يُنظَر إليها من خلال علم التَّاريخ وفلسفته لعدّة جهات واعتبارات، فهي الامتدادُ العقديُّ والرُّوحيُّ للإسلام، عبر انبثاقها من التَّوحيد والعدل الإلهيِّ والنبوَّة، كما أنَّها المُتمِّمُ للأدوار التي يُؤدِّيها قادةُ التَّوحيد في قيام دولة التَّوحيد والعدل الكُبرى والاستخلاف الإلهي، باعتبارها الحلَّ الأخير والنِّهائيَّ للمُشكلة البشرية، بعد تهافُت كلِّ النَّظريات الوَضعية، لأنَّه من غير المُمكن أن تُترَكَ البشريَّةُ بدون حلٍّ إلهيٍّ، كما أنَّ دولةَ التَّوحيد والعدل هي الضَّمانةُ الحقيقية لإيصال البشرية إلى سعادتها وكمالاتها المَعرفيّة والرُّوحية والماديّة، بل هي التجلِّي الأرقى والأنقى لكلِّ الأسماء والصِّفات الإلهية الجمالية والجلالية في عالَم الإمكان.

3 - المصداق الأكمل للوَعد الإلهيِّ بوراثة الصَّالحينَ للأرض:

إنَّ الغايةَ الإلهيّةَ من بعثة الأنبياء (ع) تكمن في إقامة القِسط في الأرض، وإقامة العَدل الذي هو سرُّ الاستخلاف الإلهيِّ للأنبياء والأولياء، وهذه الغاية لا يُمكنُ تَحقيقُها فقط بإرسال الرُّسُل، وإنَّما بالتَّمكين لهم في الأرض لكي يُستكمَلَ المَشروع الإلهيُّ على أكمل وَجه؛ فالتَّمكينُ وعدٌ إلهيٌّ، حيث لا يُمكنُ أن تتحقَّقَ الوراثة للأرض من دُونه، بل إنَّ الحكومةَ الإلهيّةَ المَهدويّةَ للذين استُضعِفُوا في الأرض لا يُمكنُ تَحقيقُها إلا من خلال تمَكين الله تعالى لعباده، وقد صرَّحَ القرآنُ الكريمُ بوضوح عن العلاقة التَّلازمية بين الوراثة والتَّمكين، قالَ -جَلَّ في عُلاه-: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾

[القصص: 5].

وفي آية أخرى قالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105].

وقد ذكر (العلامةُ الطباطبائيُّ) أنَّ الآية مُطلَقةٌ، ولا مُوجبَ لتَخصيصها بإحدى الوراثتَين الدُّنيوية أو الأخرويّة، وإنْ كان ظهورُها بالوِراثة الدُّنيوية وحَملُها على زمان ظهور الإسلام أو ظهور الإمام المهدي(عج) أنسَبَ في المقام، أمَّا الآية الثالثة المُتضمِّنةُ لمعاني الاستخلاف والوراثة والتَّمكين فهي قوله -تعالى-: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النّور: 55].

إذ يذكر العلامةُ الطباطبائيُّ آراءَ المُفسِّرينَ مُناقشًا لها مُتوصِّلاً في نهاية بحثه إلى أنَّ "الآيةَ إنْ أُعطيَتْ حقَّ معناها لم تَنطبقْ إلا على المجتمع المَوعود، الذي سيَنعقدُ بظُهور المَهديِّ (عج)..."[1]، فالمُتأمِّلُ في الآية الشَّريفة لا بدَّ أن يَلحظَ بوضوح نوعيّةَ الوُعود الإلهيّة لمَن يَجمعُ بين رُكنَي الإسلام الأصيلَين، أي الإيمان والعمل الصالح، وهذه الوعود هي:

أ. الاستخلافُ في الأرض: وذلك لأجل إقامة حكومة العدالة الإلهيّة المُطلَقة التي لا تَشوبها شوائبُ الظُّلم والجَور.

1 - محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج 15، ص 156.

ب. تمَكينُ الدِّين وتمَكُّنُه في النُّفوس الفرديّة والمجتمعيّة، بحيث يَنفذُ الدِّينُ بكلِّ أبعاده الماديّة والمعنويّة، ويَنبسِطُ على أرجاء المعمورة، وتَحكمُ القوانينُ الشَّرعيّةُ الحَقّة في جوانب الحياة وأُطرِها المُتعدِّدة.

ج. تبديل الخوف بالأمن؛ حيث تزول كلُّ عناصر الخوف وأسبابُه، ويَحِلُّ مكانَها الأمنُ والأمان والاستقرار الشّامل.

إنَّ كلَّ هذه العناصر تُبيِّنُ بوضوح عِظَمَ المُهمّةِ المَهدويّة الرَّبّانيّة وضخامتَها وكونَها مُتعدِّدةَ الجوانب جليلةَ الأهداف، فهي عمليةُ تَغيير شاملة للحياة الإنسانية، بل تحوُّلٌ كمِّيٌّ ونَوعيٌّ في معنى الحياة الإنسانيّة وعمارة الكون.

● المبحث الثاني: المبادئ التأسيسيّة، الدولة المهدويّة كنموذجٍ أرقى للحياة الطيّبة.

1 - الدولة المهدويّة والحياة الطيّبة:

تمَّ التداول بكثرة في الأروقة الثقافيّة والفكريّة لمصطلح الحياة الطيِّبة، باعتبار جماليّته الشكليّة والمَضمونيّة، وكونه الهدف الغائيَّ لكثير من عمليّات وتراكيب الحياة الإنسانيّة، فهي النِّتاجُ الطَّبيعيُّ للعمل الصالح النَّابع من الإيمان، وهي المُرادِفُ لنمط الحياة الإسلاميِّ، وهي تَعني أنَّ المجتمع البشريَّ سيَعيش حينَها حياةً هادئةً مطمئنةً مليئةٌ بالرَّفاه والسِّلم والمحبّة والتَّعاون، وفي أمان من الآلام الناتجة عن الاستكبار والظُّلم والطُّغيان وعبادة الأهواء والأنانيّة التي تملأ الدُّنيا، وصولاً إلى الجزاء الأحسن في عالم الآخرة. كما أنَّ الحياةَ الطيِّبةَ هي ذلك التَّجلِّي الواقعيُّ للحياة الاسلاميّة القائمة على أساس تعاليم وإرشادات الوَحي الإلهي، التي تبدأ في الدُّنيا وتَنتهي بالحياة الأخرويّة. يقول -تعالى-: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: 97].

والمُتأمِّلُ في الرِّويات الصَّادرة عن أهل البيت (عليهم السلام) يَلحَظُ التَّفسيراتِ المُتعدِّدةَ لمفهوم الحياة الطيِّبة، إلّا أنَّ هذه التَّفسيرات المُتعدِّدة تصبُّ الصَّبَّ المحوريَّ الذي مرَّ، أي كون هذ الحياة هي التي تنعكس إيجابًا على الأفراد، بحيث تَخلو من المُكدِّرات، فلا يكون هناك إلا ما تَستلذُّ به النَّفسُ، وما تَطمح له العينُ، وما يَنعكس بالأخلاق الفاضلة والعلم النَّظريِّ والسلوك العمليِّ المُطابقِ له على الإنسان، وكلُّ هذا ليس

إلّا نتيجـةً للرُّكنَين الأصيلَين في الثَّقافة الحياتيّة والمُجتمعيّة القرآنيّة، وهما الإيمانُ والعملُ الصَّالح. فقد رُوِي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام: سُئِلَ عَن قَولِه تَعـالىَ (فَلَنُحْيِيَنَّه حَياةً طَيِّبَةً)، فقالَ (سـلام الله عليـه): هِيَ القَناعةُ"[1]، أمَّا المعنى الثاني الذي وردَ في الرِّويات فهو الحصولُ على ما يُحِبُّ الإنسانُ، بشرط ألَّا يكونَ عن طريق ما يَكرَهُ الله تعالى، فقد جاء في دُعاء الإمام زين العابديـن عليه السلام: "فأَحْيِني حَيـاةً طَيِّبَةً تَنْتَظِمُ بِما أُرِيـدُ، وتَبلُغُ ما أُحِبُّ مِن حَيثُ لا آتِي ما تكرَهُ، ولا أرتكِبُ ما نَهَيتَ عَنه".

وفي دعـاء آخَر: "واجعَلْني ممَّنْ أطَلتَ عُمُرَهُ، وحَسَّـنتَ عَمَلَهُ، وأتمَمتَ عَلَيـه نِعمتَكَ، ورَضيتَ عنـهُ، وأحيَيتَهُ حياةً طيِّبةً في أدوَمِ السُّرورِ وأسـبَغِ الكرامةِ، وأتَمِّ العَيشِ".

ويُمكِـنُ الجمعُ بين هـذه الرِّوايات بأنَّها تُريد أن تُقدِّمَ للإنسـان المُؤمن نَموذجًا مُتوازنًا لكيفيّة الحياة، فالقناعةُ كنزٌ لا يَفنى، وبدونها سيَبقى الإنسانُ في حالـة طلـب حثيث للدُّنيا، بحيث لا يُرضيـه شَيءٌ منها، ولا يُحقِّقُ في ذاته شرطًا ومُقوِّمًا أساسيًّا من مُقوِّمات الحياة الطيِّبة، ففي رواية لطيفة عن الإمام الصـادق عليه السلام: "كانَ أميرُ المُؤمنينَ صلوات اللـه عليه يَقول: ابنَ آدمَ! إنْ كُنتَ تُريدُ من الدُّنيا ما يَكفيكَ فإنَّ أيسَرَ ما فيها يَكفيكَ، وإنْ كنتَ إنَّما تُريدُ ما لا يَكفيكَ فإنَّ كلَّ ما فيها لا يَكفيكَ"[2]، وهذه القناعة لا تُنافي طلـبَ الحلال، وإنْ كان بالحصـول على كلِّ ما يُحبُّ الإنسـانُ، فالمهمُّ

1 - السيد الرضي: نهج البلاغة، ج 4،ص51

2 - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج2، ص 138، ح 6.

أن يكـون الطَّلبُ بالحلال، فقوامُ الحيـاة الطيِّبة هو الانتظام كما أراد اللهُ، فيُمكن للإنسان أن يَسعى لتحقيق الرَّفاهيّة والتطوُّر في مختلف المجالات الحياتيّة، ولكن مع بقائه مُلتزمًا بالشِّـعار القـرآنيِّ الرائد، قالَ اللَّهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [هود: 112].

من هنا يمُكِنُ القولُ، واسـتنادًا إلى ما سـيأتي من مبـادئ ومقوّمات، أنَّ الدَّولةَ المَهدويّةَ ستُشـكِّلُ النَّموذجَ الأهنأ والأرقـى للحياة الطيِّبة، بحيث يمُكِنُ للإنسـان والمجتمع مـن خلالها الوصولُ إلى العيـش بحياة هادئة مُطمئنّة ملؤُها الرَّفاه والسِّـلم والمحبة والتَّعـاون، خاليةٍ من الآلام الناتجة عن الاستكبار والظُّلم والطُّغيان والتعصُّب والأنانيّة.

2 - المبادئ التأسيسيّة للدولة المهدويّة:

إنَّ الدَّولـة المَهدويّـةَ بمـا تمُثِّلُه مـن وصول الاسـتخلاف البشري إلى مَداه الأخير، ووصول الاسـتكمال البـشريِّ إلى ذروته، عبر تحقيق جميع مفـردات الحياة الطيِّبة بأبهـى وأنقى درجاتِها، لا بدَّ أن تسـتندَ إلى مبادئ عامّـة وتأصيليّة، نابعةٍ من جوهر هذا الدِّين الإلهيِّ الذي تُريد أن تصل فيه إلى أعلى مستوًى في مقام التَّطبيق والعمل.

أ- المبـدأ الأول: العمـلُ بكتاب اللـه تعالى وسُـنَّةِ المَعصومينَ (عليهم السلام):

فلـكلِّ دولةٍ أو نظامٍ للحكم دسـتورٌ يمُثِّل البنيةَ التحتيّـة لكلِّ تشريعاته وتفريعاتها، وبقدر التزام أركانِ النِّظام بهذا الدُّستور، ومتانة الأصل الفكريِّ لـه، يُكتَب له النَّجـاحُ والدَّيمومة والبَقاء، فالدَّولة المَهدويةُ لها دسـتورُها

الخاصُّ، الذي تَنبع منه بقيّةُ التَّشريعات، ويتمثَّلُ ذلك الدُّستور بمصدرَين أساسيَّين، دلَّت النُّصوصُ على أن دولة الإمام المهديِّ (عجَّل الله تعالى فرجَه) تستند في تشريعاتها على هذَين المصدرَين، كما أنَّ الإمام المهديَّ (عجَّل الله فرجَه)، باعباره آخرَ الأئمة المَعصومينَ (عليهم السلام)، يمُثِّل بنفسه مصدرَ التَّشريع.

عَن أَحمَدَ بن عُمَرَ قالَ: قالَ أَبُو جَعفَر عليه السلام، وأَتاه رَجُلٌ فقالَ لَه: إِنَّكُم أَهلُ بَيت رَحمَة، اختَصَّكُمُ اللهُ -تَبارَكَ وتَعالَى- بها، فَقالَ (عليه السلام) لَه: «كَذَلكَ نَحنُ والحَمدُ لله، لا نُدخلُ أَحَدًا في ضَلالَة ولا نُخرجُه من هُدًى، إِنَّ الدُّنيا لا تَذهَبُ حَتَّى يَبعَثَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ رَجُلاً مِنّا أَهلَ البَيت، يَعمَلُ بكتاب الله، لا يَرَى فيكُم مُنكرًا إِلاّ أَنكرَه»[1].

ويَروي هِشامُ بنُ سالِم، عَن الصّادق جَعفَر بن مُحَمَّد، عَن أَبيه، عَن جَدِّه (عليهم السلام)، قالَ: قالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله): «القائمُ من وَلدي اسمُهُ اسمي، وكُنيَتُهُ كُنيَتي، وشَمائلُهُ شَمائلي، وَسُنَّتُهُ سُنَّتي، يُقيمُ النّاسَ عَلَىٰ ملَّتي وشَريعَتي، ويَدعُوهُم إِلَىٰ كتاب رَبِّي -عزَّ وجلَّ-، مَن أَطاعَهُ فَقَد أَطاعَني، ومَن عَصاهُ فَقَد عَصاني، ومَن أَنكرَهُ في غَيبَته فقَد أَنكرَني، ومَن كَذَّبَهُ فَقَد كَذَّبَني، ومَن صَدَّقَهُ فقَد صَدَّقَني»[2].

ب- المبدأ الثاني: العدالة الاجتماعيّة والنِّظام العادل:

تُشكِّلُ ثنائيةُ الإيمان والعَدل جوهرَ الرِّسالات السَّماويّة المُختلفة،

1 - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج 52، ص 378، ح 182.

2 - الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ص 439، ح 6.

وخصوصًا رسالة الإسلام، بحيثُ تَرتبطان إحداهما بالأخرى ارتباطًا وثيقًا، وتَحكمُهما علاقةٌ جدليّةٌ في قمّة التَّميُّز ؛ فالعَدلُ من أهمِّ تجلِّيات الإيمان باللــه تَعالى والقرب منه: ﴿**اعْدِلُوا هُــوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى**﴾ [المائدة: 8]، فلا يمُكِــنُ للفرد أن يَبلغ حقيقةَ الإيمان دون أن يكــونَ عادلاً، إلاّ أنَّ المفارقة الجوهرية بين المفهومين هي في كون مقولة الإيمان اختياريّة: ﴿**فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِــنْ وَمَنْ شــاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[الكهف: 29]، و﴿**لا إِكْــراهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة: 256].

أمَّا مَقولةُ العدل فجَبريّةٌ، فيَجب إقامة العدل ســواء على مَن قَبِلَ به أم لم يَقبَلْ، فبه تَقوم السَّــماواتُ والأرض، ومن هنــا كان على أيِّ مشروعٍ دينيٍّ أو ثقــافيٍّ أو حضاريٍّ ألاَّ يُغفِــلَ مقولةَ العدل، ويُركِّزَ فقط على الإيمان مع أهميّتــه، بل لا بدَّ أن يَســعى إلى تحقيق مقولة العدالة الشَّــاملة والبنيوية، في مختلــف المجــالات الاجتماعيــة والاقتصادية والسياســية، فكثيرٌ من الجماعات، ومن مختلف الأديان، نجحَت في سَــوق النَّاس إلى الإيمان، وإقامة الصَّلاة، ولكنَّها فشــلَت في سَــوقِهم إلى العدل وتجلِّيّاته، فالتَّركيزُ على الإيمان وتطبيقاته، وإغفالُ محوريّة العَدل، يُفرِغُ الإيمانَ من محتواه، ويَجعلُه ظاهرةً طقوســيّة شــكليّةً، قــد تُؤدِّي إلى الظُّلــم والاضطهاد، ولنا في الخــوارج وفِرَقِهــم خيرُ مثالٍ عــلى ذلك في التاريخ الإســلامي، وفي الجماعــات التَّكفيريّة خيرُ مثالٍ في العصر الحديث، ومن هنا نَفهم ما قالَه الإمــام عليه السلام: "لا تَغترُّوا بصَلاتِهــم ولا بصِيامِهم، فإنَّ الرَّجــلَ رُبَّما لَهِجَ بالصَّــلاة والصَّوم حتى لو تَرَكَه اســتوحشَ، ولكــنْ اختبِرُوهُم عند صدق الحديث، وأداءِ الأمانة"، فصِدقُ الحديث وأداءُ الأمانة من تجلِّيّات العَدل.

مــن هنا كان لا بدَّ من أُطروحةٍ تُحقِّق الخلاصَ الحضاريَّ للمجتمعات، عبر تطبيق العدالة الاقتصادية، والعدالة الاجتماعية، والعدالة في السِّياسات الضَّرائبية، وفي الأُعطيات (الأُجور)، وفي تَوزيع الثَّروات، وإيجاد الفُرَص، وتَحقيق التَّنمية العادلة في مختلف المجالات الاجتماعية، وليس ذلك إلاّ عبرَ الأُطروحة المَهدويّة، فهي مشروعُ التَّغيير إلى العدالة في بُنى الاقتصاد والمال والسياسة، وفي منظومات الوَعي والفِكر والثَّقافة، بل في معايير صناعة الهويات والانتماءات، وفي طبيعة الانقسامات الأُممية والمجتمعية وتمايُزِها[1].

لقد عبَّرَت بعضُ النُّصوص عن كيفيّة تَطبيق العدالة من قِبَلِ الإمام (عج)، بأنَّه يقوم بالحقِّ، أو أنّه يَدعو النَّاسَ إلى الإسلام جديدًا، فقد رُوي عن محمد بن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام القائمُ (عليه السلام) دَعا النَّاسَ إلى الإسلام جديدًا، بل قد سُمِّيَ بالقائم، لأنَّه يَقوم بالحقِّ المُطلَق وعلى جميع المستويات، وقد أشارَت بعضُ النُّصوص إلى أنَّ الله تعالى سيَقطع حُجّةَ كلِّ مَن يدَّعي أنَّه لو أمسكَ الحُكم لعَدَلَ مثلَ عدالته (عجَّل الله فرجَه)، حيث رُوي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قالَ: "دَولَتُنا آخرُ الدُّوَل، ولَنْ يَبْقَى أَهْلُ بَيْتٍ لَهُم دَوْلَةٌ إِلاَّ مُلِّكُوا قَبلَنا، لئلاَّ يَقُولُوا إذا رَأَوا سيرَتَنا: إذا مُلِّكْنا سِرْنا مِثلَ سِيرَةِ هؤُلاءِ، وهو قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿...وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

1 - راجع: محمد شقير: فلسفة المهدوية: العدالة ونهاية التاريخ.

2 - الطوسي: الغيبة، ص 47.

هذه الرِّواية تُشير بوضوحٍ إلى أنَّ بناء النِّظام العالميِّ على أساس من العدالة لا يتأتَّى إلاّ بعد فشلِ جميع الأُطروحات البشرية في تحقيقها، بحيث تكون كلُّ الأنظمة على اختلاف توجُّهاتها الفكريّة والعقائديّة قد أدلَتْ بدَلوها، ولم تستطعِ الوصول إلى العدالة الكاملة، فأفضى ذلك إلى تشكّل أزمة بنيويّة أو ما يعبرّ عنه بالانسداد الحضاريِّ، وهذا ما تُوضِّحُه روايةٌ أخرى في هذا المجال: "عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «لا يكونُ هذا الأمرُ حتَّى لا يَبقى صنفٌ من النَّاس إلَّا قد وُلُّوا على النَّاس، حتَّى لا يقولَ قائلٌ: إنّا لو وُلِّينا لعَدلنا، ثمَّ يقومُ القائمُ بالحقِّ والعدلِ"[1].

ج- المبدأ الثالث: عالميّة الحكومة المهدويّة:

إنَّ وجودَ دُول متعدِّدة، مع اختلاف توجُّهاتها وسياساتها ومبادئها ومنطلقاتها، يُؤدِّي إلى كثير من المشاكل والإشكاليّات، التي تَنشأ من التَّنافُس بينها، ومحاولة فرض الرُّؤى والأفكار من قِبَل الدُّول القويّة على مَن هو أضعَفُ منها، فضلاً عن محاولة استغلالها واستعمارها بشتَّى صنوف الاستعمار، وما نشهدُه وشهِدْناهُ من صراعات مختلفة بين الدُّول، أدَّت إلى حروبٍ عالميّة طاحنة وكوارث مهولة وسباق إلى التسلُّح، قَضى وما زال يَقضي على الملايين من الناس، هو من الأزمات الكبيرة التي لا بدَّ لها من حلٍّ جذريٍّ.

في مقابل ذلك نجدُ فكرةَ العولمة وتَحكُّم القطبِ أو الأقطاب المُتعدِّدة بالعالم، وفقًا لمبدأ الترنسدانس أو العلوّ والاستكبار، إنَّ الرُّؤية الإسلاميّة

1 - النعماني: الغيبة، ص 282.

تقفُ مَوقفًا مُتحفِّظًا من مسألة العولمة؛ لأنَّها تهدف إلى فرض هوية ثقافية واحدة هي الهوية الغربية، وتُمارس عمليّةَ استلابٍ حضاريٍّ وتَنميطٍ لثقافة الشُّعوب بما يَنسجم مع الثقافة الغربية، من خلال تقنيات المعلومات المُحتكَرة بيد الشَّركات الغربية الكُبرى، التي سلبَتْ من الآخرين فرصةَ المُنافَسة، حيث يُمكِنُ تَشبيه ما يَجري بالسِّباق في مضمارٍ معيَّنٍ، بحيث قد كسر أحدُ المُتسابقينَ أرجُلَ المُتسابقينَ الآخَرينَ، حتَّى قبلَ أن يَنطلقوا في السِّباق، ثمّ بدأ يَتباهى بسَبقِه لهم وتقدُّمِه الهائل عليهم، وهذا ما حالَ وما زال يَحول، وعلى مدى عقودٍ متطاولة، دون التَّثاقُف المُتوازن بين الشعوب والأمم المختلفة، الذي يتطلَّب تهيئةَ ظروفٍ ملائمةٍ لحوار الحضارات بدلَ تَصادُمِها وصِراعِها، فأصبحَت الكياناتُ الاقتصادية الغربية العملاقة عبر الشَّركات المتعدِّدة الجنسيّات مُكتسحةً لكلِّ الأسواق ؛ فالعَولمةُ لا تُنتِجُ دولةً عالميّةً مُنسجمةً، يَسودها نظامٌ وقانونٌ واحد؛ لأنَّها تُمارِسُ أنواعًا مختلفة من القَسر والفَرض، تُؤدِّي إلى نشوء حالة من المُمانَعة عند الشُّعوب المختلفة، تَدعوها إلى التمرُّد على ما تُنتِجُه العَولمة من قوانين وأنظمة لإدارة العالم.

أمام هاتَينِ المُعضِلتَينِ تَبرُزُ أهميّةُ طرحِ البَديلِ للشُّعوب المَحرومة والمُستضعَفة، ولا بديلَ لها سوى دولة الإمام العالميّة، التي سوف تُحقِّق التَّقارُبَ والتَّواصُل الحقيقيَّ بين الشُّعوب، عبر تَرجيح سياسة الاختيار والقناعة على الفَرض والإكراه والإجبار في القيادة، بحيث تَصِلُ هذه الدَّولةُ الإلهيّةُ المُبارَكةُ إلى العالميّة، وتتمكَّنَ من بسط نفوذِها وسيادتِها على جميع أنحاء المَعمورة. وقد دلَّتِ الرِّواياتُ المُتعدِّدةُ على سعة مُلكِه

وسُـلطانه، كقول الإمام الباقر عليه السلام: «يَفتَحُ اللهُ لـه الرُّومَ والصِّينَ والتُّرْكَ والدَّيلَمَ والسِّندَ والهِندَ وكابُل شاه والخَزَر»[1].

وقـول أمـير المؤمنين عليه السلام: «إذا بَعثَ السُّـفيانيُّ إلى المَهديِّ جيشًـا، فخُسِـفَ بهـم بالبَيداء، وبلغَ ذلك أهلَ الشَّـام، قالـوا لخَليفتهم: قد خرجَ المَهديُّ فبايِعْهُ وادخُلْ في طاعته وإلا قَتلناكَ، فيُرسِـلُ إليه بالبيعة، ويَسـير المَهـديُّ حتى يَنزِلَ بيتَ المَقـدس، وتُنقَل إليه الخَزائـنُ، وتَدخُل العربُ والعجـمُ وأهلُ الحربِ والرُّومُ وغيرُهم في طاعتِه من غيرِ قتالٍ، حتى تُبنى المساجدُ بالقسطنطينيةِ وما دُونَها»[2].

1 - النعماني: الغيبة، ص 238.

2 - ابن طاووس: الملاحم والفتن، ج1، ص 136.

الفصل الرابع:
المَعالِمُ المُشكِّلة والمُمثِّلة للحكومة المَهدويّة

● المبحث الأوّل: مصيرُ غير المُسلمينَ في الدَّولة المَهدوية

1 - كيفيّة تعامُل الإمام المهديِّ مع أتباع الديانات: إنَّ السُّؤالَ المركزيَّ والأساسيَّ والإشكاليَّ، الذي اتَّخذَهُ البَعضُ وسيلةً لطرح الشُّبهات والإشكالات، هو كيفيّةُ تعامُلِ الإمام المهديِّ مع أتباع الديانات الأُخرى خصوصًا مع ما وردَ من أنَّه يَخرج بالسَّيف مثلاً ؛ وهنا لا بدَّ من التأكيد على أنَّ الخطوة الأولى التي سيَقوم بها (عجَّل الله فرجَه) تُجاهَهُم هي العمل على هدايتِهم، وذلك من خلال فتح باب النِّقاش العلميِّ معَهم، والعمل على إقناعِهم بالحقِّ، وهذا هو الطَّريق العَقلانيُّ والشَّرعيُّ المُفضَّل في سبيل الدَّعوة، قالَ جَلَّ في عُلاه: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل: 125]. وممَّا يُشير إلى قيامه بهذه الخطوة هو ما ورد من أنَّه سيَعمد إلى الجلوس مع أهل الديانات، ويحاجُّهُم بكتُبِهم التي يُؤمنونَ بها.

كما ورد بعض الرِّوايات التي تُظهرُ أنَّ الإمام يَستخدمُ أحيانًا سلاحَ المَعاجز والكرامات لديه ولدى أتباعه، أمامَ الآخرين في سبيل تحقيق الغاية المَرجوّة، وهي حصول الهداية الطَّوعيّة إلى الدِّين، وهذا يُشير بوضوح إلى تعدُّد الطُّرق التي يَستعملها (عجَّل الله فرجَه) من أجل هداية النَّاس مهما كان توجُّهَهم، كما رُوي أنَّه (عجَّل الله فرجَه) يُرسِلُ جنودًا إلى القسطنطينية، يمَشون على الماء، فتُفتَحُ المدينةُ سلمًا ومن دون قتال، فقد رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إذا قامَ القائمُ بَعَثَ في أقاليم الأرض في كُلِّ إقليمٍ رَجُلاً، يَقُولُ: عَهدُكَ في كَفِّكَ، فإذا وردَ عَلَيكَ أمرٌ لا تَفهَمُهُ

ولا تَعـرِفُ القَضاءَ فِيهِ فانظُرْ إلىٰ كَفِّكَ واعمَلْ بما فِيها، قالَ: ويَبعَثُ جُندًا إلىٰ القُسـطَنطِينيَّة، فإذا بَلَغُوا الخَليجَ كَتَبُوا علَىٰ أقدامهم شَـيئًا ومَشَوا عَلَىٰ الماءِ، فإذا نَظَرَ إلَيهِمُ الرُّومُ يمَشُونَ عَلَىٰ الماءِ قالُوا: هَؤُلاءِ أصحابُهُ يمَشُونَ عَلَىٰ الماءِ، فكَيفَ هُو؟ فعندَ ذَلِك يَفتَحُونَ لَهُم أبوابَ المَدِينَةِ، فيَدخُلُونَها، فيَحكُمُونَ فِيها ما يُرِيدُونَ»[1].

وكذلـك ما وردَ في رواية أخرى عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنَّه إذا تناهَت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفعَ اللَّه تبارك وتعالى له كلَّ مُنخفِضٍ من الأرض، وخفضَ له كلَّ مُرتفِعٍ، حتّى تكونَ الدُّنيا عندَه بمنزلةِ راحتِه، فأيُّكُم لو كانَت في راحتِه شعرةٌ لم يُبصِرْهُ"»[2].

وعـن الإمـام الباقر عليه السلام قال: «ذُخـرٌ لصاحِبكُم الصَّعـبُ! قلتُ: وما الصَّعب؟ قال: ما كان من سـحابٍ فيه رعدٌ وصاعقـةٌ أو بَرقٌ، فصاحِبُكُم يَركبُه، أمَا إنَّه سـيَركبُ السَّـحابَ ويَرقى في الأسـباب؛ أسبابِ السَّماواتِ السَّبعِ والأرضينَ»[3].

كـما لا بدَّ من عـدمِ إغفالِ أنَّـه يَظهَرُ بحسـبِ دلالاتِ الرِّوايات المأثورة والمَشـهورة سـنخُ علاقةٍ مكينةٍ وحكيمةٍ تتجلَّى في آخـرِ الزَّمان بين خروج الإمـام المهدي (عجَّل الله فرجَه الشريف) وظهوره الشَّريف ونزول السـيِّد

1 - النعماني: الغيبة، 333

2 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 328، ح 48.

3 - م. ن: ج 54، ص 344، ح 34

المَسيح عيسى بن مريم عليه السلام، بحيث تهدفُ هذه العلاقةُ الرَّبانيّةُ إلى إعلاء كلمة الإسلام العزيز، وإقامة دولة العدل الإلهيِّ في الأرض قاطبةً، بما فيها الشُّعوب التي تُؤمنُ بعقيدة السيِّد المسيح، وغيرها من بقيّة الأُمم.

2 - غلَبة الإسلام دينًا على غيره بالبُرهان اليَقيني: لقد تعرَّضَت الرِّواياتُ المُعتبرَةُ إلى بيان هذه الحقيقة القائمة على أساسٍ ثابت، يتمثَّلُ في غلبة المَهديِّ على الأُمم إمَّا بالسَّيف، وإمَّا بقبول النّاس له طوعًا واختيارًا، ونزولُ النبيِّ عيسى عليه السلام يكون له أثرٌ كبيرٌ في هداية جمعٍ كبير من المسيحيِّينَ، حيث يَرَونَ نبيَّهُم يأتَمُّ بالإمام المهديِّ (عجَّل الله فرجَه) ويَدعو إليه، فقد رُوي عن رسول الله الأعظم (صلَّى الله عليه وآله) أنَّهُ قالَ: «... المَهديُّ الذي يَملؤُها قسطًا وعَدلاً كما مُلئَت جورًا وظُلمًا، والذي بَعثني بالحقِّ نبيًّا، لو لم يبقَ من الدُّنيا إلَّا يومٌ واحدٌ، لطَوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ، حتَّىٰ يَخرُجَ فيه وَلدي المهديُّ، فيَنزلُ روحُ الله عيسىٰ ابنُ مريمَ، فيُصلِّي خلفَه، وتُشرِقُ الأرضُ بنوره، ويَبلُغُ سلطانُه المَشرقَ والمَغربَ.

3 - السَّيفُ كرمزٍ للقوّة والتطوُّر: الرِّواياتُ الواردةُ عن أهل البيت (عليهم السلام) تُشير إلى أنَّ الآلةَ التي يَظهر بها الإمامُ ويُقاتِلُ فيها هي السَّيف، فقد ورد عن أبي بصير قال: "سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما تَستعجلونَ بخروج القائم؟ فو الله ما لِباسُه إلا الغَليظُ، وما طَعامُه إلا الشَّعيرُ الجشبُ، وما هو إلا السَّيفُ"[1]. فالمُرادُ به على الأظهر كونُه أداةً من أدوات القوة، أي المَعنى الرَّمزي للسَّيف التي تَختلف من زمان الى آخر، وعُبِّرَ بالسَّيف

1 - الطوسي: الغيبة، ص 480، ح 473.

لأنَّه المصداقُ البارزُ آنذاكَ للقوّة والقتال.

فالسَّيفُ كان وما زال يَرمزُ إلى القوة والقدرة العَسكرية على غرار «القلم» الذي يَرمز إلى العلم والثَّقافة، أمّا الافتراضُ بأنَّ هذه الأسلحة التي نَعرفُها اليوم سوفَ تتوقَّفُ عن العمل عند خروجِ الإمام (عج) فهذا بعيدٌ، وهذا ما يُعبِّرُ عنه الشَّيخُ ناصر مكارم الشيرازي بقوله: "يُصرِّحُ العقلُ بأنَّ العودةَ إلى الوراء ليست مُمكنةً ولا مَنطقيّةً، وهذا خلافُ سُنّة الخلقِ وأصلِ تكامُل الحياة؛ وعليه ليس هناك من دليلٍ على جمود المُجتمع وايقاف عجلةِ تطوُّره بُغيةَ تحقيق الحقِّ والعدالة، وأنَّ قيام المُصلح العالميِّ الكبير، بهدف بسط العَدل والحرية في كافّة أنحاء العالم، لا يُؤدِّي بأيِّ شكل من الأشكال إلى ركود أو إزالة الحركة الصِّناعية وما عليها من تطوُّر.

فالتَّطوُّر الصِّناعيُّ الرّاهنُ لم يتمكَّنْ من حلِّ أغلب المُعضلات التي تُواجهُ الإنسانَ في حياته فحسب، بل كما ذكرنا في الأبحاث السابقة فإنَّه يُشكِّلُ أحدَ دعائمِ استقرار الحكومة العالمية الواحدة وتقريب المناطق العالمية على صعيد الارتباط والعلاقات الاجتماعية، وهي الأمور التي يتعذَّرُ تَحقيقُها دون التكامُل الصِّناعي. ولكن لا شكَّ في أنَّ هذه الحركة والنَّهضة الصِّناعية والتكامُل التِّقنيَّ يَنبغي أن يَخضع إلى غربلةٍ ليُنَقَّى من العوالق السَّلبية والمُضرّة، ويصبَّ في صالح الإنسان وتحقيق أهدافه في العدل والحرية، وهذا ما ستُمارسُه قَطعًا حكومةُ العدلِ. هذا بشأن التَّطوُّر الصِّناعيِّ والتِّقنيِّ"[1].

1 - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: الحكومة العالمية للإمام المهدي، ص 203.

فالأصلُ في حركة الإمام السِّلميّة والمُحاجَّة بالدَّليل، وليس العنف والقتل:" "إنَّه سيَبدأُ المُواجهةَ بادئ الأمر من خلال الحوار الفكريِّ، وفي كافّةِ الأصعدة، أي على ضوء الاصطلاح الدِّينيِّ، يُقيمُ الحجّةَ على الخصوم بحيث يَستجيب له كلُّ من امتلكَ بعضَ الاستعداد لقبول الحقِّ، فلا يَبقى سوى مَن لا تُجدي معَه نفعًا إلاّ القوّةُ. فالذي نَستفيده من القَرائن القائمة على هذا الموضوع- بغضِّ النَّظر عن دليله- أنَّ أسلوبَه وسيرتَه هي سيرةُ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله... ولو كان الإسلام دينَ العُنف والقوة لما غصَّ القرآنُ بكلِّ تلك الأدلة والبَراهين لإثبات الحقائق، ولا سيَّما في موضوعَيْ معرفة اللَّه والمَعاد، اللَّذَين يُشكِّلان أهمَّ المحاور الأساسية للإسلام، ولَمَا طالبَ أصحاب الفكر والعقل والمنطق بإصدار الأحكام، ولَمَا تحدَّثَ بهذه الطَّريقة عن العلم والمعرفة، فالنِّظام الذي يتَّصف بالعُنف لا يَعرف من معنًى للدَّليل والبُرهان"[1].

وهناك عدّةُ موشِّرات وروايات تدلُّ على هذا الطَّابع السِّلميِّ الأصيل في هذه الحركة، من ذلك أنَّه يُرسِلُ النَّفسَ الزَّكيّةَ للتَّعريف به وبحَركته، في محاولة للإقناع من دون قِتال، ولو كان لا يَقبل توبةَ أحدٍ فلماذا يُرسِلُ لهم رسولاً من قِبَله مُحاولاً هدايتَهم للطَّريق الحقِّ.

وورد أيضًا أنَّ الحسنيَّ سيُطالِبُه بالدَّليل على أحقانيّته فيُثبتُ له ذلك. ففي روايةٍ طويلة جاءت في بحار الأنوار عن الإمام الصادق عليه السلام قال: فيَتَّصِلُ به [أي بالحَسنيِّ] وبأصحابِه خبرُ المهديِّ عليه السلام، ويَقولون: يا ابنَ

1 - م. ن: ص.ص. 211 - 212.

رسـول الله، مَن هذا الذي قد نزلَ بسـاحتنا، فيقول: اخرُجوا بنا إليه حتى نَنظُـرَ مَن هو؟ وما يُريـد؟ وهو والله يَعلمُ أنَّهُ المَهـديُّ، وأنَّه لَيَعرِفُه، ولم يُـرِدْ بذلك الأمـرِ إلاّ لِيُعرِّفَ أصحابَه مَن هو. فيَخرج الحسـنيُّ فيقول: إن كنتَ مهديَّ آل محمَّدٍ فأينَ هراوةُ جدِّكَ رسول الله صلى الله عليه وآله وخاتمُه، وبردتُه، ودرعُـه الفاضل، وعمامتُه السَّـحاب، وفرسُـه اليَربوع، وناقتُـه العضباءُ، وبغلتُه الدّلدل، وحمارُه اليَعفور، ونجيبُه البُراق، ومصحف أمير المؤمنين عليه السلام؟

فيُخرِجُ له ذلك ثم يأخُذُ الهراوةَ فيَغرسُـها في الحجرِ الصَّلدِ وتُورقُ، ولم يُـرِدْ ذلك إلاّ أن يُـري أصحابَه فضلَ المَهديِّ عليه السلام حتـى يُبايعوهُ. فيقول الحسـنيُّ: الله أكبَرْ، مُدَّ يدكَ يا ابنَ رسـول الله، حتـى نُبايعَكَ، فيَمدُّ يدَهُ، فيُبايعُه ويُبايعُه سائرُ العَسكرِ الذي مع الحسنيِّ..."[1].

فقَبـولُ الإمام المهـديِّ (عجَّل الله فرجَـه) بيعةَ جيشِ الحسـنيِّ مُؤشِّرٌ واضـحٌ على قبول توبتهم وأوبتهم إليه، فضلاً عن أنَّ مُطالبةَ الحسـنيِّ إياهُ بإثبات أنَّه المهديُّ الحقُّ تكشـفُ عن أنَّه (عجَّل الله فرجَه) سـوف يَفتح البابَ لكلِّ مَن يشـكُّ فيه ويَطلب الحقَّ أن يسـألَه ما يشـاءُ مـما يُثبِتُ به أحقانيّتَه[2].

نعـم قد يكون آخـرَ الدَّواءِ الكيُّ لمَن لا يَنفعُ معَـه إلاَّ ذلك، ويُصرُّ على محاربة الحقِّ ومجابهتِه بكلِّ الوسـائل، كما فعل رسـولُ الله صلى الله عليه وآله بعد أن

1 - المجلسي: بحار الأنوار، ج 53، ص 15،

2 -راجع: حسن عبد الأمير الظالمي: الطابع السلمي لحركة الإمام المهدي.

استنفدَ كلَّ الوسائل والطُّرق المتُاحة.

● المبحث الثاني: معالم الدَّولة المهدويّة

تقـدَّمَ أنَّ الدَّولةَ المَهدويّة هي النَّموذج الأرقـى للحياة الطيِّبة، وتوضَّحت المبادئُ التي تَسـتند إليها هذه الدَّولة، ويجدر القولُ أنَّ معالمَ هذه الدَّولة ليسَت سوى المُفردات والتَّطبيقات الأمثَلِ لمفهوم الحياة الطيِّبة، ومن أهمِّ هذه النَّماذج التَّطبيقيّة:

1 - عموم الأمن والهدوء والسَّلام المجتمعيّ

إنَّ الدَّولـةَ المَهدويّةَ كما مرَّ هي دولةُ العدالة الاجتماعيّة، إلّا أنَّ العدالة ليسـت كافيةً لتحقيق النَّموذج الأمثل للمجتمع الذي يَطمح إلى تشـكيله الإمامُ المهديُّ (عجَّل الله فرجَه)، فالعدالة قد تَفقد قيمتَها إذا كانَت مشوبةً بالمُشـاحنات والاضطرابـات الاجتماعيّة، واللَّافتُ للنَّظـر من التأمُّل في الرِّوايـات الواردة في المقام أنَّ الأمنَ الذي تُشـير إليه يَشـمل كلَّ مناحي الحياة بلا اسـتثناء، أي أمن الطُّرق وأمن النَّاس بشتَّى أجناسِهم وأنواعهم، حيـث إنَّ كلَّ صنوف الأمن تكون مُتحقِّقةً كالأمن الغِذائيِّ والأمن الثقافيِّ والأمـن البيئيِّ وغيره... بل حتّى هذا الأمن يعمُّ الحيوانات، فالإمامُ (عج) سيُوجِدُ الحلَّ لما تَعيشُه المجتمعات البشريّةُ اليومَ من فقدانِ الأمن والأمان في مختلف المجالات، حيث تَنتشر سرقةُ الأموال من البيوت والمَحلَّات، وسرقةُ السَّـيارات والبنوك، وتقوم بهذه الأعمال عصاباتٌ ومافيات، فضلاً عن اختطاف النِّسـاء والأطفال والاعتداء عليهم، وصولاً إلى أبشع الصُّوَر المتمثِّلة تجارة الأعضاء البشريّة.

قد يقول قائلٌ كيف يمُكِنُ للإمام أن يحلَّ هذه المشاكل المُستعصيةَ النَّابعةَ من غرائز الشرِّ المُتأصِّلة في نفوس بعض البَشر، وهل هذا يَحصل بسحرٍ ساحر؟ والجوابُ عن ذلك أنَّ كلَّ ذلك يَنتفي بانتفاء أسبابه ومقتضياته، ففُقدانُ الأمن في مجتمعاتنا المعاصرة يعود إمَّا الى الفقر والحرمان، أو إلى ضعف الايمان باللّه، أو الطَّمع في المَزيد من المال، أو خُبث النَّفس وانحراف السُّلوك، أو إلى ضَعف الحكومة بأنْ تكون عاجزةً عن ملاحقة المُجرمين.

أمّا في عصر الإمام المهديِّ عليه السلام فتَزول جميعُ هذه الأسباب؛ فالفقرُ يَنتفي من المجتمع ويعيش الجميعُ في رفاه ورَغَد، حتَّى إنَّ مُنادي الإمام المَهديِّ عليه السلام يُنادي: مَن له حاجةٌ إليَّ؟ فما يأتيه إلَّا رجلٌ واحدٌ يُريد المَزيد من المال، لا أنَّه فقيرٌ مَحروم. ويتركَّزُ التديُّن الحقيقيُّ وتقوى الله في القلوب، على أثر المناهج التَّربوية التي يُطبِّقُها الإمامُ في المجتمع، وبذلك تَنتفي الجرائمُ التي تقع بسبب ضعف الإيمان باللّه تعالى، كما أنَّ كثيراً من النَّاس في زمن الظُّهور يَصلون إلى مراتب عالية من التكامُل العقليِّ والنفسيِّ والرُّوحي.

يمُكِنُ أن نَقرأ لذلك نموذجًا من الرِّوايات فيما جاء عن الإمام عليٍّ عليه السلام وهو قولُه: "ولو قد قامَ قائمُنا لأنزلَت السَّماءُ قَطرَها، ولأخرَجَت الأرضُ نَباتَها، ولَذهبَت الشَّحناءُ من قلوب العباد، واصطلَحَت السِّباعُ والبَهائمُ، حتَّى تمَشي المَرأةُ بين العراق إلى الشَّام، لا تضعُ قدمَيها إلّا على النَّباتِ، وعلى رأسها زنبيلُها (زينتُها) لا يَهيجُها سبعٌ ولا تَخافه"[1].

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 316، ح 11.

أو كـما رُوِيَ عن الإمـام الباقر عليه السلام في حديثه عـن الأمن والأمان في عـصر الإمام المهديِّ عليه السلام: "وتَخرجُ العَجوزُ الضَّعيفةُ من المشرقِ، تُريدُ المَغربَ، لا يُؤذيها أحدٌ... "[1].

2 - التقدُّم العلميّ والتِّقني الهائل والتَّنمية المُستدامة

إنَّ بنـاء الدَّولـة الحديثة، وإنتاجَ الحضارة التي تُريـد أن تُقدِّمَ النَّموذجَ الأمثـلَ لنظام الحُكـم وللتَّقدُّم والازدهـار الاجتماعي، لا بـدَّ أن يكون مُسـتنِدًا للتقـدُّم العلمـي والمعرفي، فالجهلُ منشـأٌ للكثـير من الآفات على مختلف المسـتويات المعرفية والاجتماعية والاقتصادية والنفسـية، والحياةُ لا تسـتمرُّ معه. وقد أبـدعَ أميرُ المؤمنين في وَصفه ووصف آفاته ومخاطره قائـلاً: "الجَهلُ مُميتُ الأحْيـاء، ومُخَلِّدُ الشَّـقاء"[2]. بل دَيدَنُ القرآن وأحاديث أهل البيت (عليهم السـلام) قَرْنُ الحياة بالعلم، والجهل بالموت، حيـث يَصف أميرُ المؤمنين عليه السلام الجاهـلَ بقوله:" "الجاهِلُ مَيِّتٌ، وإنْ كانَ حَيًّا"[3].

فالعِلـمُ هـو المِصبـاحُ الـذي يَكشـف الظُّلمات، وبـه تتطـوَّر جميعُ مناحـي الحياة، وهو الذي يَقضي على الفقـر والتخلُّف والتبعيَّة، ويُحقِّقُ السَّـعادةَ والرَّفاهيّـة الاجتماعيّة بتكامُله وانسـجامه مـع الدِّين والإيمان. فالدَّولـةُ المَهدويةُ هي دولةُ العلم والعمل، التـي تُحقِّقُ في طيّاتِها أركانَ

1 - القندوزي: ينابيع المودة، ص 423.

2 - الآمدي: غرر الحكم ودرر الكلم، ج1، ص 78.

3 - علي بن محمد الليثي الواسـطي: عيون الحكم والمواعظ، ص 65.

التطوُّر، وتَصعد سـلَّمَ النَّجاح، وتَقود مركبَ الحضارة إلى شـاطئ الأمان والطمأنينة، والذي يَقود هذا المَركبَ الحضاريَّ هو قبطان السَّفينة وربّانُها الإمـامُ المهـديُّ (عجَّل الله فرجَـه). عَن أبي جَعفَر عليه السلام قـالَ: "إذا قامَ قائمُنـا وَضَعَ اللهُ يَدَه عَلَى رُؤُوسِ العِبـادِ، فجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُم، وكَمَلَت بِه أحلامُهُمْ".

فالإمامُ بنفسه هو من يَقود عمليّةَ التَّطوير الذِّهنيِّ والإنتاج المعرفيِّ، عبر إكـمال ما وصلَـت إليه البشريّةُ من تقدُّم في مختلـف المجالات، وآخرها الـذَّكاء الاصطناعيُّ، ففي الرِّواية عن أبي عبد اللـه عليه السلام أنَّه قال: «العلمُ سبعةٌ وعشرونَ حَرفًا، فجميعُ ما جاءَت به الرُّسُلُ حرفان، فلَم يَعرِف النَّاسُ حتَّـى اليوم غيرَ الحَرفَينِ، فإذا قام القائمُ عليه السلام أخرَجَ الخمسـةَ والعشرينَ حرفًـا، فبَثَّها في النَّاس، وضـمَّ إليها الحَرفَينِ، حتى يَبُثَّها سـبعةً وعشرينَ حَرفًا»[1].

مـن هنا فإنَّ الوصـولَ بالعلوم والمعارف إلى غايتهـا القُصوى المُمكنة للبَـشر لا يكـون إلا على يدَي الإمـام المهديِّ (عجَّل اللـه تعالى فرجَه)، فمستوى العلم والمعرفة الذي ستَصل إليه البشريةُ زمنَ ظهوره (عجَّل الله تعـالى فرجَه) هو الأكملُ، وهو ما يُعبِّر عنه أميرُ المؤمنين عليه السلام فيما رُوي عنـه مـن أنَّ الإمامَ المهديَّ (عجَّل اللـه تعالى فرجَه) سـيَختمُ كلَّ العلوم التـي تكون مُفتتَحـةً، ويُوصِلُها إلى نهايتها وغايتها المَنشـودة في التَّفريع والتأصيـل والمحتوى والمضمون، فقد رُوي عنـه عليه السلام أنَّه قال لـ(كميل

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 236،ح 104.

بن زياد): "يا كميلُ ما مِن علمٍ إلَّا وأنا أفتَحُهُ، وما مِن سرٍّ إلَّا والقائمُ عليه السلام يَختمُه"[1].

فإذا كملَت العقولُ والحُلوم، وفُتحَت العلومُ، يَصلُ الأفرادُ والمُجتمعاتُ إلى أعلى مراتبِ الرُّقيِّ العلميِّ، بحيث يُؤتى النَّاسُ الحكمةَ، أي عصارةَ التَّجارب الحياتية، وإفرازات الحوادث والنَّوازل، فيَتمكَّنُ كلُّ مَن تتوفَّر فيه ملكةُ النَّظر في المآلات، والرُّؤية الاستشرافيّة عن المستقبل، فعَن حُمرانَ بن أَعينَ، عَن أبي جَعفَرٍ عليه السلام أنَّهُ قالَ: "وتُؤتونَ الحكمةَ في زَمانه، حَتَّىٰ إنَّ المَرأةَ لَتَقضي في بَيتِها بكتاب الله تعالىٰ وسُنَّة رَسُوله صلى الله عليه وآله"، بل في بعض النُّصوص ما يدلُّ على أنَّ مدارِكَ المُؤمنينَ ستتطوَّرُ زمنَ الظُّهور المُبارَكِ؛ بحيثُ يتمكَّنونَ من التَّواصُلِ المُباشر مع الملائكة.

فعَن أبي الحسن الرِّضا عليه السلام قال: "إذا قامَ القائمُ، يأمُرُ اللهُ الملائكةَ بالسَّلام على المؤمنين، والجلوسِ معَهم في مجالسهم، فإذا أرادَ واحدٌ حاجةً أرسلَ القائمُ من بعضِ الملائكة أنْ يَحملَه، فيَحملُه الملَكُ حتى يأتيَ القائمَ، فيَقضي حاجتَه، ثم يَردُّهُ. ومن المُؤمنينَ مَن يسيرُ في السَّحاب، ومنهم مَن يَطيرُ مع الملائكة، ومنهم مَن يَمشي مع الملائكة مَشيًا، ومنهم مَن يَسبقُ الملائكةَ، ومنهم مَن تتحاكمُ الملائكةُ إليه، والمؤمنونَ أكرمُ على الله من الملائكة، ومنهم مَن يُصيِّرُهُ القائمُ قاضيًا بين مائةِ ألفٍ من الملائكة. وفي روايةِ المفضل بن عمر الطَّويلة

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 74، ص 412، ح 37.

مـع الإمامِ الصَّادق عليه السلام أنَّه قال له: يا سـيِّدي وتَظهَرُ الملائكةُ والجنُّ للنَّـاسِ؟ قال عليه السلام: إي واللهِ يا مفضل، ويُخالِطُونَهُم كما يكونُ الرجلُ مع جماعته وأهله."[1]

3 - التطوُّر الصِّناعيُّ الهائل:

إنَّ التقـدُّمَ العلمـيَّ والرُّقـيَّ الفكـريَّ لا بدَّ أن يَسـتتبِعَ تطـوُّرًا صناعيًّا، فالصِّناعةُ والزِّراعةُ تُشـكِّلان العصبَ الأهمَّ للحياة البشريّة، خصوصًا في واقعنـا المعاصر، فقد شـكَّلَت الثَّـورةُ الصِّناعيّةُ التـي حصلَت في أوروبا مفصلاً أساسـيًّا، بحيـث أصبحَت كلُّ دولةٍ تُريد أنْ تُحقِّـقَ النُّموَّ والتطوُّر لا بـدَّ أن تُركِّزَ على هـذا الجانب الحيوي، عبر تطويـر الآلات الصناعيّة، وتطوير وسـائط الإنتاج، وتَسـهيل محطَّات الحياة من خلال الآلة، فلا بدَّ للدَّولـة المهدويّة، باعتبارها تَبغي الرِّيادةَ وتَحقيـق الحياة الطيِّبة، أن تُولي هذا الجانبَ الكثيرَ من الاهتمام، وقد أشـارَتْ عدّةُ نُصوصٍ وروايات إلى مفردات هذا التطوُّر الصِّناعيِّ الهائل، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- مـا دلَّ عـلى دَيمومة النُّـور والضِّياء، بحيث يُسـتغنى عن ضوء الشمس، فقد رُوي عن المفضل بن عمر الجعفيِّ، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقـول: "إنَّ قائمَنا إذا قام أشرقَت الأرضُ بنُورِ ربِّها، واسـتَغنى العبادُ عن ضوءِ الشَّـمس، وصـارَ اللَّيلُ والنَّهارُ واحدًا، وذهبَتِ الظُّلمةُ..."[2].

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 53، ص 10، ح 1.

2 - م. ن: بحار الأنوار، ج 52، ص 337، ح 77.

- وعـن أبي عبـدِ الله عليه السلام أنَّه قـال: "إنَّ قائمَنا إذا قـامَ مدَّ اللهُ لشـيعتِنا في أسـماعِهم وأبصارِهـم، حتـى يكـونَ بينهم وبينَ القائمِ عليه السلام بَريدٌ، يُكلِّمُهم ويَسـمعون ويَنظرون إليه، وهو في مكانه."[1].

إنَّ هـذه النُّصـوص لا تُفهَمُ فَهـمًا حرفيًّا، وإنَّما بحَملِهـا على الكنايات أو المجاز وما شـابه ذلك من الأسـاليب البلاغية، وأمّا إذا أردنا أن نَحمِلَ الألفـاظَ الـواردةَ فيها على معانيها التي وُضعت لها فلا بـدَّ من تقبُّلِ فكرةِ تغـيُّرِ القَوانين الطبيعيّة الحياتيّة السـائدة في أيامنا، كوجود اللَّيل والظُّلمة، بحيـث لا يَبقـى إلّا الضَّـوءُ والنَّهار، أو قـد يكون ذلكَ كنايـةً عن التطوُّرِ الصناعـيِّ الهائل، مع الأخذ بالاعتبـار أنَّ النَّاسَ في زمن صدور النَّصّ لم يكن بوُسـعهم فهـمُ التطوُّر الهائل، ولذا اسـتعمل المعصومُ الألفاظ التي يَفهمون معانيها، وهو يَقصد معانيَ متناسـبة مـع التطوُّر، فالراجحُ حملُها عـلى معنى آخر متناسـب مع التطوُّر العلميِّ والصِّناعـي، وهو: أن تتطوَّرَ شـبكاتُ الكهربـاء، أو طَاقةٌ أُخرى ستُكتشـف في وقتها، بحيث تسـتمرُّ الإضاءةُ ليلاً، ويَسـتغني النَّاسُ عن الشَّـمس، لأنَّ الإضاءةَ قويّةٌ ومستمرّةٌ، وتَعبير الرِّواية بأنَّ العباد يَستغنون عن ضوء الشَّمس لعلَّه يُؤيِّد هذا المعنى.

ونَحمل كذلك الرِّوايةَ الثانية على تطوُّر وسـائل التَّواصُل، فنَحن نشـهدُ اليومَ قفزات علميّةً هائلةً في شـبكات الاتِّصال، فالعالَمُ أصبحَ قريةً كونيّةً صغيرةً، يمُكِنُ الاطِّلاعُ على أيِّ جزءٍ منها بنَقرةٍ على شاشةٍ مُتاحة، وما زال

1 - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج 8، ص 241، ح 329.

العمـلُ جاريًا على اختراع أمـورٍ جديدة، بحيث يَطـرحُ بعضُ المُختصِّينَ إمكانيّـةَ الوصول إلى عيشٍ عالَمٍ افتراضيٍّ كاملٍ، بكلِّ خصوصيّات العالَمِ الحقيقـيِّ، فعبـارةُ الرِّواية بأنَّ المسـافةَ بـينَ المؤمنِ وبـينَ الإمامِ عليه السلام سـتكونُ في زمنِ الظُّهور بمقدار بريدٍ، أي أربعة فراسـخ، أي ما يقربُ من 20 كم، ومع ذلكَ يَسمعونَ الإمامَ ويَنظرونَ إليه، قد يكونُ البريدُ فيها مثالاً لا موضوعيّـةَ له، فيكون المَقصودُ هو سـماع الإمام ورُؤيتُه من مسـافات بعيـدة، خاصّـةً مع وجود بعـض الاختلاقات في مَتن الرِّوايـة، ففي روايةٍ أخرى إضافة (لا) قبل (يكون) أي هكذا: "حَتَّى لا يَكُونَ بَيْنَهُمْ وبَينَ القائمِ بَرِيدٌ، يُكَلِّمُهُمُ فيَسمَعُونَ ويَنظُرُونَ إلَيه، وهُو في مَكانه". والمقصودُ حينئذٍ هو أنَّ التواصُلَ بينهم يكونُ من دونِ حاجةٍ إلى (بريد) أي رسـولٍ يتوسَّـطُ في نقلِ كلامِ بعضِهم إلى بعضٍ.

وفي روايـةٍ أخرى عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قـال: إذا قامَ القائمُ بعثَ في أقاليـم الأرضِ في كُلِّ إقليـمٍ رجلاً يقول: عهدُك في كفِّكَ، فإذا وردَ عليكَ أمـرٌ لا تَفهَمُه ولا تَعرفُ القضاءَ فيه، فانظُرْ إلى كفِّكَ واعملْ بما فيها..."[1]. فهذا النصُّ يُشـيرُ إلى وجود شيء عندَ المؤمن يُجيبُه عن كلِّ سـؤالٍ يَرِدُ عليـه، وهذا قريب ممّا هو موجود في أيّامنا من الأجهزة الذكيّة، التي تَزداد كلَّ يـوم تطوُّرًا، بحيث أصبح كلُّ إنسـانٍ يَحمل في يـدِه جهازًا صغيرًا في الحجـم، ولكن في داخله الخدمات والاختيـارات الكثيرة التي تُمكِّنُه من معرفـة وانتقاء أيِّ معلومةٍ يُريدُها، ولعلَّ ما ورد في الرِّواية قد يكون إشـارةً

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار ج 52 ، ص365، ح 144.

إلى نسخة أكثر تطوُّرًا ودقّةً وتقنيّةً ممّا هو مُتوفِّر في زَماننا[1].

4 - الرَّفاه الاقتصادي والتَّوزيع العادل للثَّروات:

نحن نعيش اليوم في عصر التقلُّبات الاقتصاديّة المُتلاحقة، بما يَنتجُ عنها من أزمات أصبحَت غيرَ محصورةٍ بالدُّول الفقيرة والدُّول النامية، وخاصّةً دول العالَم القديم، أي إفريقيا وآسيا، بالإضافة إلى دول أميركا اللاتينيّة التي كانَت وما زالَت تُعاني من ظروفٍ مختلفة، أخطرُها الاستعمار من قِبَلِ الدُّول الكبرى، ونهبُ ثرواتها، فضلاً عن تقسيمها إلى دُويلاتٍ مُتفرِّقةٍ وفقَ مبدأ (فرِّقْ تَسُدْ)، فتَبرزُ مشاكلُ من قَبيلِ عدمِ توفُّر وحداتِ سكنٍ كافية للجميع، والدُّيون، والفقر، والبطالة، والعجز عن تأمينِ الأساسيّاتِ فضلاً عن الكماليات، بل باتَتِ الدُّولُ الكبرى، أي ما كان يُسمَّى بالمعسكر الغربي، عرضةً لهذه المَخاضات وما يَنتج عنها من التَّدهوُر الاقتصادي، وعدم استقرار أسعار الصَّرف، وتذبذب القوّة الشِّرائية للعُملات، وما حصل في الأزمة الاقتصاديّة الأميركيّة عام 2008م خيرُ شاهد، فضلاً عن الرُّكود الاقتصادي والتضخُّم، الذي شمل مختلف الدُّول، وخاصّةً الكبرى منها، إبّان أزمة كورونا وفي أثنائها، وكذلك ما حصل بعد ذلك من أزمات كبيرة في الطَّاقة وغلاء في الأسعار في كلِّ الدُّول الأوروبيّة بعد الأزمة الرُّوسيّة الأوكرانيّة.

إنَّ هذه المشاكلَ المُتعدِّدةَ كانت وما زالت تُثقِلُ كواهل الكثيرينَ من

1 - راجع: سعيد العذاري: المعالم الاقتصادية والعمرانية في حكومة الإمام المهدي (عج).

بني البـشر، حتَّى أصبحَت الرَّفاهيّة الاقتصادية حُلـمًا وَرديًّا يُخالِجُ جميع المُستضعَفينَ أو ما يُسمِّيهم طه حسين في مجموعته القصصيّة (المُعذَّبونَ في الأرض) في جميـع أرجاء المعمـورة، وبات هؤلاء يَرسـمون لوحاتٍ خياليّةً بريشة هذه الأحلام، ويَنسجون لهم قُصورًا فارهةً على قارعة الوَهم، بل هم مُسـتعدُّونَ ليَركبوا في زوارق المـوت في البحر طَمعًا في نيل حياة تَليـق بهم كبشرٍ في هذا العالم الظَّالِـمِ والمُتوحِّش الذي يَنهشُ فيه القويُّ الضَّعيفَ.

إنَّ هـذا الحلمَ لا بدَّ أن يأتيَ يومًـا ويتحقَّقَ وإنْ طال به الزَّمن، والرَّفاهية الاقتصاديةُ وعدٌ إلهيٌّ وعدَ به المُنتظِرينَ والمؤمنينَ، يُحقِّقُه لَهم حال ظهور الإمـام المهديِّ (عجَّل الله فرجَه)، فيَنسى هـؤلاء المُعذَّبونَ معاناتَهم وما مرُّوا به من زلازل اقتصادية، ليَناموا قريري العيون على رَغدٍ من العيش، في ظلِّ دولته المباركة. ومن أهمِّ مظاهر هذه الرَّفاهيّة:

أ- تدفُّـق الكنوز والخيرات والبرَكات على يَـدي الإمام المهديِّ (عجَّل الله تعالى فرجَه)، فتَخرج كلُّ الخيرات والثَّروات الكامنة في باطن الأرض، وتمُطِرُ السَّـماءُ وتُنزِلُ قطرَها، فقد رُوي عن محمد بن مسـلم الثقفيِّ قال: سـمعتُ أبا جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) يقول: "القائمُ منّا مَنصـورٌ بالرُّعب، مُؤيَّدٌ بالنَّصر، تُطـوى له الأرضُ، وتَظهر له الكنوزُ، يَبلُغُ سلطانُه المشرقَ والمغربَ"[1].

وعن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام: "وتُظهِرُ الأرضُ كنوزَها

1 - الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص 359، ح 16.

حتى يَراها النَّاسُ على وجهها، ويَطلُبُ الرَّجلُ منكم مَن يَصِلُه بماله ويأخذُ منه زكاتَه فلا يَجِدُ أحدًا يَقبل منه ذلك، استغنى النَّاسُ بما رزقَهُمُ الله من فَضلِه"[1].

ب- تقسيم الثَّروات وتَوزيعها بشكلٍ عادل:

إنَّ من أهمِّ المشاكل التي تُعاني منها مجتمعاتُنا المعاصرة هي سوءُ التَّوزيع، فمُعظَمُ الثَّروات مَحبوسةٌ تحتَ أيدي نسبة ضئيلة جدًّا من البشر، بل بعضُ التَّقارير تُشير إلى أنَّ 1 بالمئة من سكّان العالم يَمتلكون 46 بالمئة من جميع الأصول الخاصة، و10 بالمئة يَمتلكون 82 بالمئة من الثَّروة العالمية. وقد حاول الإسلام عبرَ فَرضِه سلسلةً من الضَّرائب الواجبة أو المُستحَبّة أن يَحُدَّ من هذا التَّفاوُت الطَّبقيِّ المُجحِف بحقِّ الكثيرين، حتَّى إنَّ بعضَ النُّصوص عدَّتْ فقرَ الفقراء بسبب تخلُّف الأغنياء عن إعطاء ما عليهم من حقوق، فقد رُوي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنَّ اللهَ سُبحانَه فَرَضَ في أموالِ الأغنياءِ أقواتَ الفُقَراءِ، فما جاعَ فَقيرٌ إلَّا بما مُتِّعَ به غَنيٌّ، واللهُ تَعالى سائلُهُم عَن ذلكَ. ورُوي عنه عليه السلام أنَّه قال: إنَّ اللهَ فرضَ على الأغنياء في أموالهم بقَدْرِ ما يَكفي فقراءَهُم، وإنْ جاعُوا وعَرُوا وجهدُوا فبِمَنعِ الأغنياءِ، وحقٌّ على اللهِ أن يُحاسِبَهُم يومَ القِيامةِ ويُعذِّبَهُم عليه[2].

لذلك تَذكر النُّصوصُ الرِّوائيةُ أنَّ الإمام المهديَّ (عجَّل الله فرجَه)

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 337، ح 78.

2 - محمد الريشهري: ميزان الحكمة، ج 7، ص 300، ح 15059.

عندما يَظهر فسيكون من أُولى مهامِّه الأساسيّة أنَّه سيأخذُ الأموالَ من الأغنياء الفاحشينَ، ولو بالقوّة إذا اضطرَّه الأمرُ، عن عمر بن يزيد قال: "سمعتُ رجلاً من أهلِ الجبلِ يَسأل أبا عبد الله عليه السلام عن رَجُلٍ أخذَ أرضًا مَواتًا، تَرَكَها أهلُها، فعَمَرَها وأكرَى أنهارَها، وبَنى فيها بيوتًا، وغَرَسَ فيها نَخلاً وشجرًا؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: كان أميرُ المؤمنين عليه السلام يقول: مَن أحيا أرضًا من المُؤمنينَ فهي له، وعَليه طسقُها[1]، يُؤدِّيه إلى الإمام في حال الهُدنة، فإذا ظهرَ القائم عليه السلام فلْيُوطِّنْ نفسَه على أنْ تُؤخَذَ منهُ"[2].

فالرِّوايةُ تنصُّ بوضوحٍ على أنَّ الإمامَ يُريد من المؤمنين تَوطينَ أنفسهم على التَّضحية بالمصالحِ الفرديّة الضيِّقة لأجل مصلحة المجتمع والدَّولة، فيكونوا مُستعدِّينَ لتَسليم الأراضي التي يَملِكونَها للإمام المهديِّ (عجَّل الله فرجَه)؛ لأنَّهم يَعلمون أنَّ هدف الإمام من ذلك هو القيام بحركة إصلاحيّة اقتصاديّة، وهذه الحركة تبدأ من وضع خطّة واضحة تَضمَنُ إعادةَ تقسيم الثَّروات والأراضي بشكلٍ عادل بين جميع أفراد المجتمع، بحيث تكون كافيةً لسدِّ حاجات الجميع عبرَ القضاء على الاحتكار والجشع من قِبَلِ كثير من المالكين للأراضي، الذين يتحوَّلون إلى إقطاعيِّينَ يُشاركونَ النَّاسَ في أراضيهم بغير وجهِ حقٍّ، ويتحكَّمونَ برِقاب النَّاسِ فيما يُمكِنُ تَسميتُه بالاستعباد والاسترقاق بصبغتِه الجديدة، وقد عايشنا في بلادنا

1 - الطسق: كلمة فارسية معربة، وتعني: خراج الأرض.
2 - الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج 9، ص 549، ح 13.

المشرقيّة سيطرةَ العائلات الإقطاعيّة وممارستها المُنافية لأبسط معايير حقوق الإنسان، وكذلك عاشَ ذلك الغربُ، حيثُ انقسم الجتمعُ إلى فئتَينِ مُتمايزتَين (البرجوازية) و(البروليتاريا)، وهذا الواقعُ جعلَ ماركس يطرحُ فكرةَ التَّناقُضِ المُستمرِّ بين هاتَينِ الطَّبقتَينِ، وُصولاً إلى انتصار الثانية على الأولى في نهاية المَطاف.

إنَّ هذه الخطّةَ الإصلاحيّة التي سيَقوم بها الإمام (عجَّل الله فرجَه) سيَنتجُ عنها عدالةٌ اجتماعيّةٌ غير مَسبوقة، ورفاهٌ اقتصاديٌّ يَشمل كلَّ فئات المجتمع، ولا يكون مَحصوراً بفئةٍ دون أخرى؛ ولذا تَذكر النُّصوصُ أنَّ الغِنى سيَعمُّ الجميعَ دون استثناء، إلى درجةِ أنَّ صاحب الزَّكاة لا يَجد فقيراً ليُعطِيَه زكاةَ أموالِه، لأنَّه لا يَبقى فقيرٌ حتّى يُعطِيَه الزَّكاةَ، وأنَّ مَن يُريد مالاً فإنَّه سيَجِدُ الخَزائنَ مَفتوحةً له ليأخذَ منها بمقدار حاجتِه، فالإمامُ سيَقوم بكلِّ ما من شأنِه بناءُ دولة القانون والمؤسَّسات، يحيث يَعمل بصورةٍ تدريجيّة على تحقيق معالِم الاستقرار الأمنيِّ والاقتصادي[1].

ويَظهر من بعض النُّصوص أنَّ الإمام سيتَّبِعُ سياسةً ماليّةً واضحة، تَشمل تَوزيع رَواتبَ لجميع أفراد المجتمع، وهذه الرَّواتبُ قد تكون نصفَ شهرية أو نصف سنويّة، بحسب الحاجات والمستحقِّينَ، ففي الرِّواية عَن حُمرانَ بن أعيَنَ، عَن أبي جَعفَر (عليه السلام) أَنَّهُ قالَ: «كَأَنَّني بدينكُمْ هذا لا يَزالُ مُتَخَضْخضًا، يَفحَصُ بدَمِه، ثُمَّ لا يَرُدُّهُ عَلَيكُمْ إلاَّ رَجُلٌ منَّا أَهلَ البَيت، فيُعطِيكُم في السَّنةِ عَطاءَينِ، ويَرزُقُكُم في الشَّهرِ رِزقَينِ، وتُؤتَونَ الحِكمَةَ

1 - راجع: عبد الحسين الأسدي: الدولة المهدويّة والحياة الطيّبة.

في زَمانه، حَتَّىٰ إِنَّ المَرأَةَ لَتَقضِي في بَيتِها بِكِتابِ الله تَعالَىٰ وسُنَّةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله"[1].

وكذلك يَروي أبو سعيد الخدريُّ (رضي الله عنه) قال: «قال رسولُ الله [صلى الله عليه وآله]: أُبَشِّرُكُم بالمَهديِّ، يُبعَثُ في أُمَّتي على اختلاف من النَّاس، وزلزال، فيَملأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا، كما مُلِئَت جَورًا وظُلمًا، يَرضى عنه ساكنُ السَّماء، وساكنُ الأرضِ، يَقسم المالَ صحاحًا. فقال له رجلٌ: ما صِحاحًا؟ قالَ صلى الله عليه وآله: بالسَّويّة بينَ النَّاس»[2].

5 - بناء دولة المؤسَّسات وتَقويةُ البنى التَّحتيّة:

إنَّ البنى التحتيّة من أهمِّ مُقوِّمات الدَّولة الحديثة والمُتقدِّمة، التي تُريد أن تكون فاعلةً ومُؤثِّرةً في تحقيق السَّبق الحضاريِّ، وبانعدامِ هذه البنى أو ضعفِها تَنعدمُ الرَّاحةُ، ويَذهب الاستقرار والأمن المُجتمعيّان، ومن أهمِّ تجلِّيّات هذ الدَّولة القويّة من الدَّاخل يُمكِن ذِكرُ:

أ. تعزيز الأمن الاجتماعي عبرَ تقوية روابط الأُخوّة، وتمكين الرَّوابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فبقَدرِ ما تتعزَّزُ وتتطوَّرُ هذه الرَّوابط يَقترب المجتمعُ من الطّمأنينة والرَّاحة، حيث تَذكر بعضُ النُّصوص نموذجًا جميلًا لهذا الاستتباب الأمني، فهي تُصرِّحُ بأنَّ الرَّوابطَ الاجتماعيّةَ ستكونُ على أعلى مستوياتها المُتصوَّرة زمنَ الظُّهور، بحيث سيَعُدُّ الفردُ كلَّ أفرادِ المجتمع

1 - النعماني: الغيبة، ص 243، ح 30.

2 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 51، ص 81.

عائلتَـه، يَحميهم ممَّا يَحمـي أباهُ وأمَّهُ وزوجتَـه ووَلدَه، ويَدفع عـن الجميع ما يَدفع عنهم، فحينئذٍ يُسـافِرُ الرَّجلُ وهو مطمئنٌّ عـلى عياله، لأنَّهم لـن يَحتاجوا أحدًا، ويَأمنـون أذى الجميع، فكلُّ النَّاسِ إخوةٌ لهم، يسعون في تأمين احتياجاتهم المختلفة، ومساعدتهم في كلِّ ما يَحتاجونه من أمورٍ ومستلزمات معيشيّة.

يُـروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ أصحاب القائم عليه السلام يَلقى بعضُهم بعضًا كأنَّهم بنو أبٍ وأمٍّ، وإن افترقُوا عشـاءً التقَوا غُدوةً". إنَّ هذه الرِّوايـة تُبيِّنُ عُمقَ صِلة الأُخوّة الإيمانيّـة التي تَحصل بينَ أفراد المجتمع الواحد، بحيثُ يتمنَّونَ أن يَبقَوا دائمًا في حالة تَلاق واتِّصال، فهم مِصداقٌ لـ"رُبَّ أخٍ لـكَ لَـمْ تَلِدْهُ أُمُّـكَ". وفي نفس الجوِّ نَرى روايةَ إسـحاق بن عـمّار:" كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام، فذَكرَ مُواسـاةَ الرَّجلِ لإخوانه وما يَجـبُ له عليهم، فدخلَني من ذلك أمرٌ عظيم، فقال عليه السلام:" إنَّما ذلك إذا قـام قائمُنا وجبَ عليهـم أنْ يُجهِّزوا إخوانَهـم وأن يُقَوُّوهُم"[1]. بل بعضُ الرِّوايات تُـصرِّحُ بأنَّ المُزامَلةَ والأُخوّةَ الإيمانيّـة تَصل إلى مرحلةٍ يَجيء فيهـا الأخُ إلى كِيـس أخيهِ فيَأخُذُ مِنْهُ حاجتَهُ، وهذا يُشـكِّلُ أعلى درجات الأُخوّة.

ب. أمـن الطُّـرق: إنَّ الأمـن في زمن الظُّهـور لا يَقتـصر على الأمن الاجتماعيِّ، بل يَشـمل الأمانَ من المخاطر، ومِـن قُطّاعِ الطُّرق، فقد بيَّنَـتِ الرِّواياتُ أنَّ الأمنَ لا يَنحـصر في المناطق التي يَقطن

1 - الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج12، ص 27، ح 2.

فيهـا النَّاسُ، بل يَشـمل حتى الطُّـرُقَ التي عادة ما تكـون مَوطنًا ومُستقَرًّا لقُطّاع الطُّرق والعصابات المتُنقِّلة.

ج. تحقيـق الأمن الصحّـيِّ وتطـوُّر العلاجات لمختلـف الأمراض والأوبئة: تمُثِّلُ المُشـكلةُ الصحيّة واحدةً من أهمِّ المشـاكل التي تقـضُّ مضاجـعَ المجتمعـات المعـاصرة، خصوصًا مـع وجود الأمراض المُسـتعصية والفتّاكـة، التي لم يَصل الطـبُّ الحديثُ حتّى الآن إلى إيجاد علاجات فعّالة لها، كمرض السَّرطان ومرض الإيدز، وكـم عانىَ البشرُ على مدار العصور والأزمنة من انتشـار الأوبئة الفتّاكة كالملاريا والطَّاعون، وصولاً إلى وباء كورونا الذي أرعـبَ المليـارات، وقتلَ الملايـينَ من البشر في سـنتَينِ تقريبًا، هــذا فضلاً عن أنَّ الكثير من النـاس لا يتمكَّنون من شراء الأدوية والعِلاجات حتّى للأمراض البسـيطة، بسـبب الفقر المُدقعِ الذي يُعانونَ منه.

إنَّ كلَّ تلـك المخاوف سـتَنتهي عند ظهور صاحـب الزَّمان، عجَّل الله تعالى فرجَه، فالأمراض ستَنعدم، والعاهات ستَذهب، فقد رُويَ عن الإمامِ عليِّ بن الحسـين عليه السلام أنَّه قال: «إذا قـامَ القائمُ أذهبَ اللهُ عن كُلِّ مؤمنٍ العاهــةَ، وردَّ إليـه قوّتَـهُ»[1]. وفي نقلٍ آخر عنه عليه السلام قـال: "إذا قامَ قائمُنا أذهـبَ اللهُ عن شـيعتِنا العاهةَ، وجعلَ قلوبَهم كزُبَـرِ الحديدِ، وجعلَ قوّةَ

1 -النعماني: الغيبة، ج 1، ص 330، ح 2.

الرَّجلِ منهم قوّةَ أربعينَ رَجلاً"[1].

فالحالةُ العامةُ ستكون هي الصِّحة، وقد يكون السَّببُ في ذلك استمرارَ التطوُّرِ والتقدُّم الطبِّيّ، بحيث يتوفَّر العلاجُ لكلِّ الأمراض.

د. وضع خطّـةٍ مُتقَنة لتَنظيم السَّـير وإدارة الطُّرقـات: إنَّ واحدةً من مشاكل الحياة الأساسيّة اليوم هي ضيقُ الطُّرقات وعدم استيعابها للنَّـاس وآلاتهم، وهي تُؤدِّي إلى ازدحامات شـديدة، تُثقِلُ كاهلَ النَّـاس، وتُعيـق تنقُّلاتهم وأعمالَهم، كما تُـؤدِّي إلى وفيات كثيرة جرّاء حوادث السَّير. ولكن في زمن الظُّهور ستَنتهي هذه المُشكلة أيضًـا، لأنَّ الإمامَ (عجَّـل الله فرجَه) سيُوسِّـعُ الطُّرقَ الرَّئيسـيّةَ، ويُنظِّـمُ الحركـةَ فيها، بحيث تقـلُّ كثيراً - إن لم تَنعدم- مشـاكلُ السَّير والطُّرقات، كما أنَّ مسالة الامتيازات والتعدِّي على الأملاك العامّة البَحريّة والنَّهريّة، وفتح منافذ المياه على الطُّرقات، المؤدِّي إلى تلوُّثِهـا والتَّقليل من صلاحيّتِها، بـل إلى تَلفها والإضرار بها، بالإضافـة إلى عدم صيانـة الطُّرقات وتَركِ الحُفـر فيها، كلُّ ذلك سـيَمنعُه الإمامُ المهديُّ (عجَّل الله فرجَه)، لِيَجعَلَ الطَّريق سالكةً مـن دون مُعوِّقـات. وفي ذلـك رُوي عن أبي جعفـر عليه السلام: "إذا قـام القائمُ... وسَّـعَ الطَّريقَ الأعظمَ، وكـسرَ كلَّ جناحٍ خارجٍ في الطَّريق، وأبطلَ الكنفَ والمَيازيبَ إلى الطُّرقات"[2].

1 - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج 52، ص 317، ح 12.

2 - م.ن: ج 52، ص 339، ح 84.

وفي مقـام تَنظيم السَّـير وتَطبيق قوانينه، يأمرُ الإمـامُ (عجَّل الله فرجَه) أصحابَ المركبات، (وقد عبَّرَ عنهُم النصُّ بالفرسـان)، بالسَّـير في وسط الطَّريق، فإن سـاروا في أطرافه ودَهسوا شخصًا فعليهم الدِّية، ويأمرُ النَّاسَ بالسَّير في أطرافه، فإن ساروا في وسطه ودُهسوا فلا ديةَ لهم، فقد رُوي عن علي بن سـويد، عن أبي الحسـن موسى عليه السلام قال: «إذا قام قائمُنا عليه السلام قال: يا معشرَ الفُرسـان، سـيروا في وسط الطَّريق، يا معشرَ الرّجال، سيروا عـلى جَنبَي الطَّريق، فأيُّما فـارسٍ أخذَ على جنبَي الطَّريـق فأصابَ رجلاً عيبٌ ألزَمْناهُ الدِّيةَ، وأيُّما رجلٍ أخذَ في وسـط الطَّريق فأصابَه عيبٌ فلا ديةَ له»[1].

خاتمة:

إنَّ مـا يمرُّ به عالمُنا المعاصرُ مـن أزمات مُتلاحقة ومُتتاليـة يُبرزُ أهميّةَ السَّـعي نحوَ تحقيق إرهاصات اليَوم المَوعود، الذي سـوفَ تتخلَّص فيه البشريّـةُ المُتعَبةُ من كلِّ هذا الإرهاق، وهذه الإرهاصات، وإنْ كان بعضُها سـلبيًّا بطبيعته، كاختلال الأوضاع الأمنية، وسيادة التديُّن القشريِّ وتَراجع الحالة الدِّينيّة، وتردِّي المسـتوى الاقتصادي، وانتشـار الجوع والفقر بين الناس، باعتبار أنَّ هـذه الأمورَ ناتجةٌ من التَّزاحمات الفرديّة والاجتماعيّة، الواقعة في صلب الاجتماع الإنسـانيِّ؛ حيـث إنَّ بعضَ النَّاس تَغلبُ فيهم

1 - الطوسي: تهذيب الأحكام، ج 10، ص 314، ح 10.

النَّزوعـات الشِّريرة، فتَطمس فطرتَهم النقيّـةَ، فيَميلون إلى الظُّلم والتحكُّم برقـابِ النَّاس، إلاّ أنَّ كثيراً مـن الإرهاصات الإيجابيّة يَبقى على المؤمنين واجبُ تَحقيقها، وجعلِها تَطفو على السَّطح، وأهمُّ هذه الإرهاصات:

1. البَصـيرة والتفكُّر بالأمور عبرَ العلـم بالزَّمان والمكان، وتحليل الأحداث، وعدم الأخذ بالقُشـور والظَّواهـر، فالعالَم بزَمانِه لا تَهجُم عليه اللَّوابس.
2. جهـاد التَّبيين عـبر تصدِّي كلِّ فردٍ، بحسـب وظيفتـه ومقدرته وعِلمـه، لتَبيين الدِّيـن والحقِّ والـردِّ على الشُّـبهات والأفكار الخاطئة، سواء في السَّاحة الحقيقيّة أم في السَّاحة الافتراضيّة.
3. العمـل على تَرويـج فكـرة الانتظار المُوجَّـه والفَعّـال، وليس الانتظار التَّقاعـسي أو المُخرِّب، عبر تعميق فكرة الانتظار بكلِّ أبعادهـا الفكريّة والنفسـيّة والسـلوكيّة، بما تتضمَّنُـه من تعزيز للارتبـاط العاطفيِّ بالإمام المَهديِّ (عـج)، والالتزام بالأحكام الشَّرعيّة عبر الارتبـاط بالفُقهاء العُـدول، بالإضافة إلى مقارعة قوى الظُّلم والاستكبار في شتَّى الميادين الخَشنة والنَّاعمة.
4. التَّركيـز على فكرة سـننيَّة الحركة المَهدويّـة بمُختلَف أبعادها، سـواء ما يَرتبط بالانتظـار أو الظُّهور أو الدَّولـة ومُقوِّماتها، بما يَنعكس على جانب السَّـعي على بلورة عواملَ تَفعيليّة للظُّهور، سـواء على المستوى الفردي أم المسـتوى الجماعي، عبرَ نشر الفكـر المَهـدويِّ، وصَبغِه بالصّبغـةِ العالمية، وإضفاء النَّسـقِ الحضاريِّ على مُندرجاته.

إنَّ هذه الدَّولةَ المَهدويّةَ المُتحقِّقةَ فيها كلُّ تلك الإرهاصات ستَستندُ إلى عدّةِ مبادئ، وسيَكون لها عدّةُ معالِمَ بارزةٍ:

1. المبـادئ العامّة لها هـي مبدأ الحَتميّة التاريخيّة والاسـتخلافُ والتَّمكين، والمبادئ الخاصّة لها كون دسـتورِها هو كتاب الله تعالى وسـنّةُ المَعصومينَ (عليهم السـلام)، وكونها مُرتكِزةً في فلسفتِها إلى العدالة الاجتماعيّة، وتحقيق النِّظام العادل، وكونها دولةً عالميّة.
2. إنَّ هـذه الدَّولةَ ستُشـكِّلُ النَّمـوذجَ الأرقى للحيـاة الطيِّبة، عبر تكوُّنها من عدّة معالِمَ ومُشخّصاتٍ بارزة:
   1 - عموم الأمن والهدوء والسَّلام المجتمعيّ.
   2 - التقدُّم العلميّ والتِّقني الهائل والتَّنمية المُستدامة.
   3 - التطوُّر الصِّناعي الهائل والرُّقيّ الفكري.
   4 - الرَّفاه الاقتصاديّ والتَّوزيع العادل للثرَّوات.

المصادر والمراجع.

- ابـن خلـدون، مقدمة تاريخ ابـن خلـدون، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ابن شـهر آشـوب، مناقب آل أبي طالب، النجف الأشرف: المكتبة الحيدرية، هـ.ق1376.
- ابـن طـاووس، التشريـف بالمنـن في التعريف بالفـتن المعروف بالملاحم والفتن، ط1، مؤسسة صاحب الأمر، 1416هـ.
- أرسـطو، السياسـة، المركز العربي للأبحاث ودراسـة السياسات، ترجمة أحمد لطفي السيّد.
- أفلاطون، الجمهوريّة، مؤسسـة هنداوي للتعليـم والثقافة، ترجمة حنّا خبّاز.
- الأسـدي، عبد الحسـين، «الدولة المهدويّة والحياة الطيّبة»، بحث مقدّم لمؤتمر معالم الحياة الطيّبة عند أهل البيت (عليهم السـلام)، 3آذار، 2024م.
- الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط1، مؤسسّة أهل البيت لتحقيق التراث.
- السـادة، مجتبـى، تعريف المهدويـة للحضارات الأخـرى، ط1، أطياف للنشر والتوزيع القطيف، 1441هـ.
- الصدر، محمّد باقر، السـنن التاريخيّة في القرآن، ط1، أعاد صياغة

عباراتـه وترتيب أفـكاره: محمد مهدي شـمس الديـن، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت، 1432هـ.ق - 2011م.

- الصدر، محمد باقر، بحث حول المهدي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1977م.
- الصدر، محمد صادق، تاريخ الغيبة الكبرى، دار التعارف، بيروت، لبنان.
- الصدوق، محمدبن علي بن الحسـين، كـمال الدين وتمام النعمة، تصحيح علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي.
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،1417هـ.
- الطـبرسي، أحمـد بن عـلي، الاحتجاج عـلى أهل اللجـاج، ط1، مشهد، المرتضى، 1403هـ.
- الطوسي، الغيبة، مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، قم 1411 هـ، ط1.
- الطُّـوسي، محمد بن الحسـن، تهذيب الأحـكام، تحقيق وتعليق: السـيد حسـن الموسـوي الخرسـان، ط3، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1364 ش.
- الظالمي، حسن عبد الأمير، الطابع السلمي لحركة الإمام المهدي، مجلة الانتظار. العدد: 7/ شوال / 1427هـ.
- العبيـدي، خالـد فائق، القوانـين القرآنية للحضـارات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- العذاري، سـعيد، المعالم الاقتصادية والعمرانية في حكومة الامام

المهدي(عج)، مقال منشور على موقع مؤسسة أينده روشن.
- الكليني، محمد بـن يعقوب، الكافي، تصحيح علي أكبر الغفاري، ط3، طهران، دار الكتب الإسلامية.
- المجلـسي، محمد باقر: بحار الأنـوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة، الأطهـار، تصحيح: محمد باقـر البهبـودي ط3، دار إحياء التراث العربي.
- المصطفويّ، الشـيخ حسـن، التحقيق في كلمات القـرآن الكريم، ط1، مؤسّسـة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشـاد الإسـلاميّ، طهران، 1417هـ.ق.
- المطهـرى، مرتـضى، المجتمع والتاريـخ، دار المرتضى ـ بيروت، 1413 هـ ـ 1993م.
- - النعـماني، ابـن أبي زينب، الغيبـة، ط1، تحقيق: فارس حسـون كريم، منشورات أنوار الهدى، ايران - قم،1422هـ.
- الواسـطي، علي بن محمد الليثي: عيـون الحكم والمواعظ: ط1، قم/إيران، سنة 1418 هجرية.
- بدوي، ثـروت، النظم السياسـيّة، مكتبـة النهضـة العربية ومصر، القاهرة، 1957م.
- بن علي قيدارة، الأسعد، النظريّة المهدويّة في فلسفة التاريخ، مركز الأبحاث العقائدية، قم، ط1432، 1هـ.
- شـقير، محمد، «فلسـفة المهدوية: العدالة ونهاية التاريخ»، مجلة الموعود، العدد 5/ ذو القعدة/ 1439هـ.

- فوكوياما، فرنسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة مطاع صفدي، ط1، بيروت، مركز الإنماء القومي، 1993م.
- مطهري، مرتضى، نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، تعريب محمّد آذرشب، ط2، طهران، مؤسسة البعثة، 1401هـ.
- مكارم الشيرازي، ناصر، الحكومة العالميّة للإمام المهدي (عج)، ط1، مدرسه الإمام على بن أبى طالب(ع).
- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
- الآصفي، محمد مهدي، الانتظار الموجه دراسة في علاقة الانتظار بالحركة، مجمع أهل البيت (ع)، ط1، 1431هـ، 2010م.

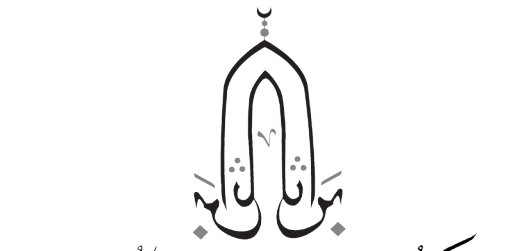

هو مركز بحثي مستقل غير ربحي، مركزه في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والاكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها ذلك الحراك الاجتماعي والانساني الكبير، الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية؛ ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة، سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

لَطالما شـكَّلَت قضيّةُ المُخلِّص الأُممـيِّ تَجلِّيًا لفطرةٍ تَتوق إلى الوصول لذلك اليوم الذي سوف تتخلَّص فيه البشريّةُ المُتعَبة من شَـقائها وآلامها، عبر إنشـاء دولةٍ عادلةٍ، بمـا لَها من خصائص العَدل ومعالِمه.

إنَّ إرهاصات هذه الحكومة، وإن كان بعضُها سلبيًا ناتجًا عن التَّزاحماتِ في الواقع الإنسـانيِّ، إلّـا أنَّ كثيراً من الإرهاصـات الإيجابيّة يَبقى على المؤمنين واجبٌ تَحقيقها، عبرَ البَصيرة والعِلم، وجهاد التَّبيين والتَّبصيـر، والتَّرويج لفكـرة الانتظار العالَميِّ المُوجَّـه والحضاريِّ، المُرتكِز على سُنن الحركة المَهدويّة، والمُستنِد إلى مبادئ عامّة، كمبدأ الاسـتِخلاف والتَّمكين والحَتميّـة التَّاريخيّة، ومبادئ خاصّة، تتمثَّل فـي الرُّجوع إلى كتاب اللّه والسُّـنّةِ المُطهَّرة، بحيث تكون هذه الدَّولةُ النَّموذجَ الأرقى للحياة الطيِّبة.

- الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز -

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد